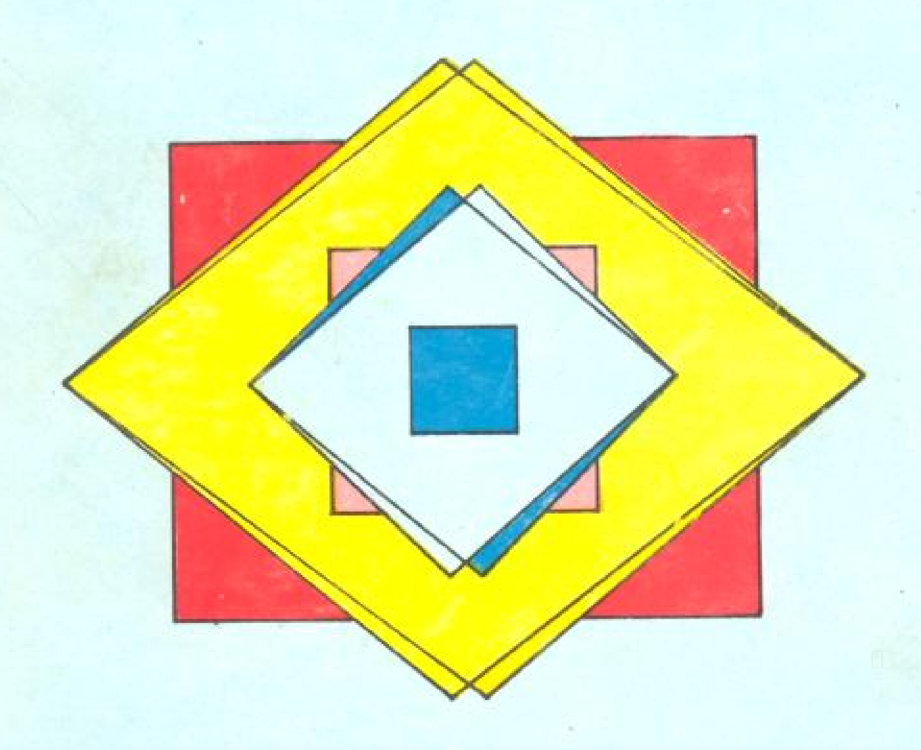
عِلم النص ونظرية الترجمة

تأليف

البروفسور يوسف نور عوض
رئيس قسم الدراسات الإسلامية / جامعة سالفورد البريطانية



الناشر: دار الثقة للنشر والتوزيع
مكة المكرمة

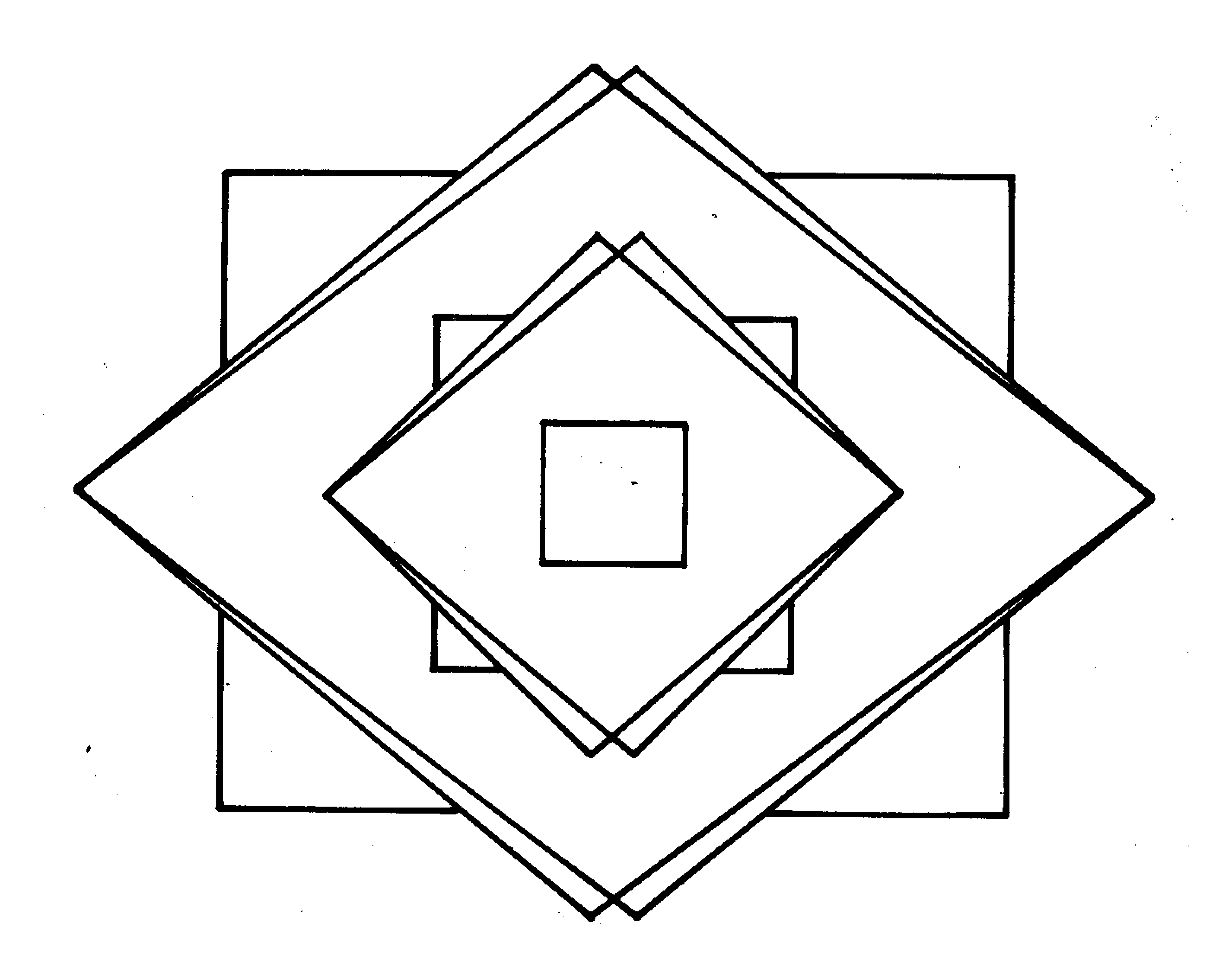
الطبعة الأولى
١٤١٠هـ

عِلم النص ونظرية الترجمة

تأليف

البروفسور يوسف نور عوض

رئيس قسم الدراسات الإسلامية/جامعة سالفورد البريطانية



الطبعة الأولى

مقدمـــة

ظلت المكتبة العربية زمناً طويـلاً وهـى خاليـة أو شبه خاليـة من كتـاب يضع الأسس السليمـة لنظريـة التـرجمة وممارستها . ويرجـع ذلك فى الأساس إلى سببين،السبب الأول هو إعتبـار التـرجمة عمـلاً فرديـاً لا يخضع لقواعـد عامـة ، والسبب الثاني هو تخلـف الـدراسات النظريـة فى مجال التـرجمة عن مستـوى الترجمة العملية .

ونظراً لحدوث تطورات مهمة فى مستوى العلاقـات الدوليـة بعـد الحرب العالميـة الثانيـة ، وظهـور عدد كبير من الـدول المستقلـة مما إستدعـى قيـام مؤسسات وتنظيمـات دوليـة هدفهـا تطويـر العلاقـات الثقافيـة والاجتماعيـة والاقتصاديـة بين الـدول ، فقـد تزايـد الطـلب على المتـرجمين ، وكان من الضرورى أن تبـدأ الجامعـات والمؤسسات التعليميـة فى الاستجابـة لهذا الطـلب بتنظيم برامج خاصة لإعـداد المترجمين ، وقـد توافـق هذا الاتجاه مع التطـورات الأخيرة التى ظهرت فى مجال الدراسات الألسنية وأدت إلى ظهـور علـم النص الـذى لعب دوراً كبيراً في تشكيـل الصورة التـى تكـون عليها برامج التـرجمة فى الجامعات والمؤسسات التعليمية .

وعلى الرغـم من أن برامج التـرجمة قد اتخذت صوراً متعـددة،فقـد واجـهت في إطار الجامعـات مشكـلات خاصة كان أهمهـا هذا السؤال الأساسي وهـو : هل الجامعـات هى المكـان المناسب لتـدريب المتـرجمين ؟ وقـــد نشأ هذا السؤال من

كون الجامعـــات التقليديـــــة قد درجت على الاهتمام بالمعرفـــــة من حيث هى معرفـة ، ولم تهتم بتـدريب المهنـيين إلا فى المجالات التـى ترتبـط إرتباطـــاً وثيقـــاً بتطوير المعرفـة ذاتها مثـل الـطب والهنـدسة والقانـون . ولم تكـن الاجابـة على هذا السؤال صعبـة بعـد أن ظهـرت الدعـوة إلى ربـط الجامعـــات بالمجتمــــع واتجهت كثير من الـدول إلى إنشاء الجامعـات التطبيقيـة التـى تضع المعرفـة النظريـة موضع التطبيـق ، ولا تعنـى الإجابـة المبـاشرة على ذلك السؤال أن كثيراً من المشكـلات التى تواجهها براج التـرجمة قد حلت ، ذلك أن الاختـلاف حول طبيعـة دراسات التـرجمة قد ظل قائمـاً في إطـــار الجامعـــات ، إذ بينما إعتبرهـــا فريـــق جزءاً من دراسات الألسنيـة التطبيقيـة ، إعتبرهـا فريـق آخـر فرعـاً من الـدراسات اللغويـة العاديـة ، وإعتبرهـا فريـق ثالث علمـاً مستقـلاً يستـنير بالـــدراسات الألسنيـــة ، والاجتماعية ، ودراسات الذكاء الاصطناعي والـذكاء الطبيعـى . ومهمـا يكـن من أمـر فإن ظهـور علـم النص الحديث قد ساعـــد على حل كثير من الاشكـــلات السابقـة حين ربـط ربطـاً مبـاشراً بين النظريـات الألسنيـة الخالصة . والنظريـات الاجتماعية والاتصالية .

وهكـذا حرر علـم الـنص دراسات التـرجمة من تلك النظـرة الضيقـة التـى حاولت أن تشدهـا إلى مجال واحـد هو مجال الألسنيـة التقليديـة ، وإنطلاقـــاً من هذا المفهـوم الجديـد للتــــرجمة ، فقـــد رأيت أن أضع هذا المؤلـــف كمقدمـــــة لدراسات التـرجمة فى اللغـة العربيـة أبين فيـه العلاقـة بين علـم الـــنص ونظريـــة الترجمة . ويعنى ذلك أننـى ركـزت على جانب واحـد من دراسات التـرجمة وهـو التـرجمة النصانيـة بعـد أن استبعـدت أنواعـاً أخـرى من التـرجمة وهـــى التـــرجمة الليكسوكوغرافية وترجمة المصطلحـات التـى لا يلـعب السيـاق دوراً مهمـاً فيها وإنما تعتمد فى الأساس على المعرفة أكثر من إعتمادها على المهارة الفردية .

وسوف يلاحظ القارىء الكريم أننى قسمت هذا البحث إلى قسمين ، خصصت القسم الأول للجوانب التى تتعلق بالدراسات النصانية وقد جاء ترتيبه على النحو التالى :

أولا : أفردت الفصل الأول لبيان الكيفية التى تطور بها علم النص وذلك من منظورات « دوبوجراند »و « هارتمان » و « رايزر » . وحاولت أن أوضح فى هذا الفصل أنه على الرغم من أن الدراسات القديمة قد تناولت كثيراً من الأسس التى يقوم عليها علم النص الحديث ، فإن الفرق بين علم النص والدراسات البلاغية والأدبية القديمة هو نفس الفرق بين الالسنية الحديثة والدراسات اللغوية القديمة ، أى هو فرق فى منهجية النظر إلى الدراسات النصانية ، وجعل النص موضوعاً للدراسة ، تماماً كما تميزت الألسنية الحديثة بمنهجيتها الخاصة وجعلها اللغة موضوعاً لدرسها الأساسي .

ثانيا : عالجت فى الفصل الثاني قضية النص من منظور هاليدى النظمى وهو المنظور الذى يعالج النص على أنه توافق بين الطبقات الفكروية والاتصالية والعلامية .

ثالثا : تعرضت في الفصل الثالث إلى مفهوم النصانية عند « دوبوجراند » حيث أثبت أن الغرض من علم النص ليس هو إيجاد نحو شبيه بنحو الجملة ، بل هو معرفة الكيفية التى تتحقق بها بعض الأسس اللازمة لتماسك النصانية ، مثل التناسق ، والترابط الفكروى ، والمعلوماتية ، والموقفانية ونحوها . وكان هذا المبحث مهماً لإنارة نظرية الإنزياحات التى أشرت إليها فى الفصل الخامس من هذا البحث .

رابعا : تناولت فى الفصل الرابع نظرية أنواع النصوص من منظور

الدكتور «باسل حاتم» وهى النظرية التى تشرح الكيفية التى تتشكل بها النصوص على المستوى البنيوى والنظمى ، وأشرت فى ذات الوقت إلى بعض جوانب القصور التى تتميز بها هذه النظرية من النواحى الأسلوبية وغيرها .

خامسا : عالجت فى الفصل الخامس نظرية الانزياحات التى توضح الكيفية التى تترابط بها المعانى المنطقية ، والبيانية والبديعية فى داخل البيئة النصانية .

وكان مجمل ما ذهبت إليه فى الباب الأول من هذه الدراسة مهماً لإنارة نظرية الترجمة التى تعتمد إعتماداً أساسياً على تحليل الطبقات المختلفة فى البيئة النصانية .

ويلاحظ القارىء الكريم أننى خصصت الباب الثاني من هذه الدراسة لنظرية الترجمة على النحو التالى :

أولا : عالجت فى الفصل الأول بعض القضايا العامة التى تتعلق بموضوع الترجمة ، ثم تعرضت بعد ذلك إلى بعض النماذج المستخدمة فى هذا المجال والتى تشكل أساساً حسناً للدراسات البيداجوجية فى مجال الترجمة . وقد إعتمدت فى هذا الفصل على ما ذهب إليه « تشاو » فى دراسته كيف نترجم هذه « وردة حمراء » التى تعرض فيها إلى عدد من النماذج هى النماذج النحوية ، والثقافية والنصانية .

ثانيا : تعرضت فى الفصل الثانى إلى مجموعة من الاتجاهات فى مجال نظرية الترجمة ، ومنها إتجاه كاتفورد النحوى وإتجاه « نيومارك » الاتصالى وإتجاه « نايدا » الثقافى واتجاه باسل حاتم القائم على نظرية أنواع النصوص ، وأخيراً إلى إتجاهى فى نظرية الانزياحات القائمة على مستويات

المعاني والبيان والبديع فى البيئة النصانية.وعلى الرغم من الاتجاهات المختلفة التى تعرضت لها فى هذا الكتاب ، فلا أستطيع أن أزعم أننى استقصيت جميع الاتجاهات،ولكننى واثق من أنى قد أثرت معظم القضايا المهمة فى علم الترجمة بما يجعل هذا البحث باكورة طيبة لدراسات ستثرى المكتبة العربية بإذن الله .

المؤلف

مانشستر ١٩٨٨/٩/٥ م



البـــاب الأول

الفصل الأول
تطور علم النص

دوبوجراند وعلم النص

يذكر دوبوجراند فى بداية تاريخه لعلم النص رأيا لـ « فان دايك » يقول فيه « لا يخضع علم النص لنظرية محددة أو طريقة مميزة ، وإنما يخضع لسائر الأعمال فى مجال اللغة التى تتخذ من النص مجالاً لبحثها وإستقصائها » (ص ١٤) . ويعنى ذلك ألا نتوقع فى دراستنا لتاريخ علم النص أن نبرز نظرية واحدة أو إتجاهاً محدداً وإنما يجب أن نتجه نحو سائر الأعمال التى أسهمت فى إبراز هذا المجال الحيوى فى دراسة اللغة .

ويرجع « دوبوجراند » البدايات الأولى للدراسات النصانية إلى العلوم البلاغية التى سادت خلال العصور الكلاسيكية القديمة (اليونانية ــ الرومانية ــ العصور الوسطى) . فقد إتجه إهتمام البلاغين في تلك المرحلة إلى تدريب الخطباء فى أربعة مجالات ، هى مجال إنشاء الأفكار Invention ومجال تنظيمها ، Disposition ومجال إيجاد التعبيرات المناسبة لها Elocution ومجال حفظها Memorization وذلك قبل عملية الإلقاء.(ص ١٥) وتعتبر الدراسات البلاغية القديمة فى نظر « دوبوجراند » مكملة لدراسات النحو والمنطق .

ويرى « دوبوجراند » أن تلك المفاهيم القديمة تلتقى في كثير من نواحيها مع الدراسات النصانية الحديثة ، ذلك أنها تحفل بعملية تنظيم الأفكار فى داخل النصوص كما تحفل بإيجاد التعبيرات التى تتناسب مع الموقف الإتصالى . ويعنى ذلك أنه كان ينظر إلى النص على أنه وحدة كلامية مخصصة لأغراض الإتصال من خلال عملية التفاعل بين مستويات مختلفة فى البيئتين الداخلية والخارجية للنص . ويثير ما ذكره « دوبوجراند » فى نظرنا إشكالية مهمة ، ذلك أنه إذا كانت الدراسة « النصانية » الكلاسيكية قد عالجت كثيرا من هذه الموضوعات ، فما الذى يميز الدراسات المعاصرة عنها ؟ والإجابة هى أن الاختلاف بين الدراسات الكلاسيكسة والدراسات المعاصرة يشبه إلى حد كبير الإختلاف بين الالسنية الحديثة والدراسات اللغوية القديمة ، وهو إختلاف فى منهجية البحث ومجال التركيز أكثر من كونه إختلافاً فى النتائج ، ذلك أن كثيراً من النتائج التى توصلت إليها الدراسات القديمة تتفوق فى كثير من نواحيها على ما توصلت إليه الدراسات المعاصرة .

يقول « دوبوجراند »: بينما تتجه الألسنية الحديثة إلى الإجابة على سؤال مثل ما هى التركيبات التى يمكن أن يكشف عنها البحث ، فإن علم النص يجيب على سؤال أساسي هو كيف يمكن اكتشاف التركيبات التى خضعت لعمليات إختيار ، وما أثر تلك العمليات فى عملية التفاعل الاتصالى . (ص ١٥) .

ويرى « دوبوجراند » أن المجال الثانى الذى عولجت فيه قضايا تتصل بمفهوم النصانية هو مجال الأسلوبية التقليدية Stylistics فقد أشار « كونتليان » منذ القرن الأول إلى مفهومات مثل الصحة اللغوية Correctness والوضوح والجمال Elegance والملاءمة ونحو ذلك (ص ١٥) . ويرى

« دوبوجراند » أن الدراسات الأسلوبية الحديثة هى إمتداد لتلك الدراسات القديمة ، فقد حاولت الأسلوبية من وجهة نظره أن تستفيد من الأفكار الألسنية الحديثة فى تطوير مفهوماتها ، وانتهت جميع مدارسها إلى القول بأن الأسلوب إنما هو عملية إختيار بين بدائل متاحة أمام منشىء النص . وعلى الرغم من ذلك ، فقد إنتقد « دوبوجراند » الاتجاهات الإحصائية عند الأسلوبين بقوله ، ليس المهم أن تتكرر الظواهر اللغوية فى داخل النصوص بصورة اضطرادية حتى نعترف بها قيماً أسلوبية ، بل يجب أن توظف هذه الظواهر فى عملية الإتصال ذاتها . ويعتبر هذا واحدا من أهم المجالات التى يهتم بها علم النص الحديث بل ويخالف بها الاتجاهات الأسلوبية السابقة .

ويلاحظ « دبوجراند » أنه نظراً لأن الالسنية الحديثة قد إهتمت بمستوى الجملة وما دونها ، فقد أعتبرت المستويات التى تكبر عن مستوى الجملة مجالأمن مجالات الأسلوبية .

ويرى « دوبوجراند » أن المجال الثالث الذى تم فيه الاهتمام بالدراسات « النصانية » هو مجال الدراسات الأدبية (ص ١٧) الذى اهتم الدارسون فيه بكيفية بناء النصوص وتأثير الأدباء على العصور ، كما أهتموا باضفاء بعض القيم البراجماسية على النصوص : ويذهب « دوبوجراند » إلى أن الاهتمام قد بدأ فى مرحلة لاحقه بتطبيق المناهج الألسنية على الدراسات الأدبية كما فعل « سبيتزر » و « رومان جاكبسون » و « فان دايك » وغيرهم . وذهب إلى أن دراسات علم النص قد تفوقت على سائر تلك الدراسات لأنها لم تقتصر على وصف التراكيب اللغوية وحدها وإنما تجاوزتها لكيفية بناء النصوص وأغراض إستخدامها (ص ١٨) ويرى « دوبوجراند » أن استخدام الاتجاهات الألسنية والتاجيمية على نحو خاص (نوع من الدراسة يقسم اللغة إلى فراغات تملأ

بواسطة الوحدات المناسبة) قد فتح مجالاً جديداً للدراسات النصانية الأنثربلوجية كما هو الشأن فى أعمال « ليفى شتراوس » فى الثقافات البدائية وأعمال « فلادميربروب » فى القصص الشعبية ونحو ذلك (ص ١٨) .

ويعتبر « دوبوجراند » المجال الرابع هو مجال الدراسات الإجتماعية الذى بدأ الاهتمام فيه بربط الأدوار اللغوية فى المحادثة بواقعها الاجتماعي . وقد فتح هذا الاتجاه المجال لما يعرف فى الألسنية الحديثة بعلم تحليل الخطاب Discourse Analysis الذى راده « سانكلير » Sanclair وكولثارد Coulthard .

ويذهب « دوبوجراند » إلى أن المجالات السالفة قد عالجت بعض جوانب الدراسات « النصانية » ، ولكن نقطة الضعف الرئسة فيها أنها كانت دراسات منعزلة عن بعضها بعضاً ، وذلك بسبب غياب مرتكز أساسي مثل « علم النص » تنطلق منه تلك الدراسات أو تتجه إليه . وهذا هو نفس التصور الذى منيت به كثير من الدراسات فى مجال الألسنية الحديثة ، ذلك أن هذه الدراسات اعتبرت الدراسة النصانية شيئاً هامشياً ولا ينتمى إلى مجال الدراسات الألسنية .

التطور داخل مجال الدراسات الألسنية :

يذهب « دويوجراند » إلى أن الاهتمام الأول بالدراسات النصانية كان فى مجال الدراسات الفيلولوجية التى سبقت الألسنية الحديثة ، حيث تركز الاهتمام على دراسة الأصوات والأشكال اللغوية منْ المنظور التاريخى بالاضافة إلى دراسة نظام ترتيب الكلمات فى الجمل .Word Order ويرى أن « هنرى ويل » Henery Weil (١٨٤٤ — ١٨٨٧) قد لحظ أن علاقات الكلمات فى الجمل لا تخضع فقط لقوانين النحو وإنما تتبع قوانين نظم الأفكار ، وهو نفس المنحى الذى ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني فيما قبل (ص ٢٠) وأعادته

مدرسة براغ الوظيفية فمـا بعـد فى النظريـة التـى تعـرف بإطـار الجملـة الوظيفيـة Functional Sentence Perspective . وهى النظريـة التـى ترى أن الـدور الوظيفـى للجمل يتركز . على المعرفة الجديدة التى تحملها هذه الجمل داخل النص .

ولقـد تبعت ذلك المدرسة الألسنيـة الوصفيـــة التـــى أهتـــمت بوصف الوحـدات اللغويـة في إطـار الجملـة بمختلـف مستويـاتها وفـق نظـام التعـــارضات الثنائيـــة Binary Relations سواء على المستــوى الــرأسى Paradigmatic أم على المستـوى الأفقـــى Syntagmatic وعلى الرغـــم من أن هذه المدرسة قد إهتـــمت بمستوى الجملة فقط ، فإن الإضافة الحقيقيـة التـى برزت عندهـا ، هى نظرهـا إلى مكونـات الجملـة وفـق نظريـة التعـارضات الثنائيـة على أنها مجموعـــة من النظـــم Systems ترابـط مع بعضهـا بعضاً عن طريـق التمايز Distinctiveness . ويشكـل وصف هذه النظـــم وصفـــاً للنظـــام اللغـــوى بأسره . وعلى الرغـــــم من أن « دوبوجرانـد » لا يرى فى إتجاهـات هذه المدرسة ما يستحـق الإهتمام ، فمـــن الواضح أن بنائيـة الـنصوص تخضع أيضاً لمجموعـة من النظـم لابـد من تحليلهـا إلى وحدات صغرى وذلك قبل دراسة الأسس التى تقربها من بعضها بعضاً .

ويرى « دوبوجراند » أن المرحلـة التاليـة هى مرحلـة « زليـج هاريس » Zellig Harris (ص ٢١) الذى أدخل مفهوم التحويلات Transfomations التـى تؤدى إلى معادلات نصانية Equivalances . وقد وجد مفهـوم التحويـلات طريقـه إلى نعـــوم تشومسكـــى فى مرحلـــة تاليـــة : وعلى الرغـــــم من ذلك ، فيرى « دبوجرانـد » أن نظريـة التحويـلات وفـق نظريـة التوزيعـــات Distributional Principle قد وجـدت قليـلاً من الاهتمام فى دراسات تحليـل الخطـــاب Discourse Analysis ويـرى أن نظريـة التحويـلات التـى تتمـخض عنها التركيبـات اللغويـــة المماثلـة لا تخبرنـا شيئاً عن علاقـــات المعـــانى ببعضهـــا بعضاً . ويعنـــى ذلك

بإختصار أن نظرية هاريس لا توضح الأسس التى تصبح بها الجمل مترابطة من الناحية المعنوية فى داخل بيئة النص .

ويذهب « دوبوجراند » إلى أن تطوراً مهماً قد حدث من خلال نظرية « كوسيرو » Coseriu الذى نادى بعدم الوقوف عند مدى معرفة المتحدث باللغة ، بل تجاوز ذلك إلى قدرته على إستخدامها فى مواقف حقيقية من مواقف الإتصال . ولكن هذا التطور فى نظره لم يلتفت إلى أهميته إلا أخيراً .

ويرى « دوبوجراند » أن مرحلة مهمة قد بدأت مع « رولاند هارويج » Roland Harweg الذى اهتم بالكيفية التى يتماسك بها النص . وقد بنيت فكرته على نظرية الإبدال Substitution والتى تقول بأن كل جملة فى النص إنما تأتى لتحل محل الجملة التى سبقتها وذلك فى توجهها نحو الغاية النهائية للنص (ص ٢٢) .

ويلخص « دوبوجراند » سائر تلك الإتجاهات على أنها تطوير للنظرية الوصفية التى تعامل النصوص وأنواعها على أنها جمل كبرى ، وأنها نتاج المُعْطى وليس نتاج عملية الإتصال ذاتها التى تلعب دوراً مهماً في عملية تكوين النص وتشكله .

ويرى « دوبوجراند » أن الإختلاف الأساسي بين المدرسة الوصفية والمدرسة التحويلية هو أن المدرسة الأخيرة لم تنظر إلى النص على أنه وحدة أكبر من الجملة المعتادة ، وإنما نظرت إليه على أنه تسلسل من الجمل الصحيحة فى حالة تتابع . وعلى الرغم من أن « كاتز » و « فودر » بحسب رأيه (ص ٢٣ ــ ١٩٦٣م) قد ذهبا إلى إعتبار النص فى أول أمرهما جملة طويلة مقسمة إلى مسافات زمنية Periods ولا تترابط بواسطة الروابط المعروفة ،

فليس هنالك ما يدل على أنهما اقتربا من مفهوم النصانية الذى دعا له « دوبوجراند » وذلك بسبب وجود كثير من النصوص التى تخالف هذا المفهوم .

ويلاحظ « دوبوجراند » أن « كارل ايريك » Karl Erick قدم إضافة مهمة ، حين ألمح إلى أن البتر وترتيب الكلمات في الجمل لا يقوم إعتباطاً وإنما يعتمد على البيئة الداخلية للنص أى على الجمل التى تسبق أو تلى ، وبالتالى فقد رأى ضرورة أن يتضمن النحو مفهومى المذكور وغير المذكور فى ترتيب عناصره (ص ٢٤) وهذا هو نفس المنحى الذى ذهبت إليه مدرسة « براغ » فى مفهوم إطار الجملة الوظيفية الذى يعتمد على مفهوم القضية Theme وجوابها Rheme وقد طور نفس هذه الفكرة « أيسنبرج » Isenberg الذى رأى عدم إمكان حل القضايا المتعلقة بالضمائر والأدوات وتتابع الأفعال فى إطار نحو الجملة المنعزلة .

ولقد جاءت الخطوة الكبرى فى نظر « دوبوجراند » عندما اجتمع عدد من العلماء فى مقدمتهم « هارتمان » و « رايزر » Reiser و « بتفوى » و «ڤان دايك » وغيرهم فى جامعة « كونستانتز » فى ألمانيا لدراسة ما أصبح يعرف بألسنية النص أو علم النص Text Linguistics وكان الإتجاه أول الأمر هو إنشاء نحو لتوليد النصوص من خلال عمل « برخت » « حيوان : السيدك المفضل » . وقد تبين أن العملية أكثر تعقيداً مما تصور الجميع وذلك لصعوبة كتابة نحو للنص يشبه نحو الجملة،ذلك أن تكوين الجمل فى داخل ما هو نص لا يختلف عن تكوينها فى داخل ما هو غير نص Non - text ، وقد بدا من ذلك أنه لابد أن تتركز العملية إذن فى كيفية إنتاج النصوص وإستقبالها من أجل توضيح الفرق بين ما هو نص وما هو غير نص (ص ٢٥) . وقد دعا ذلك

« بتفوى » Petefoi إلى التساؤل عما إذا أصبح من الضرورى إنشاء نحو للمتكلم والمستقبل ، يبدأ الأول من المعنى ويتدرج إلى الشكل أو التركيب ، بينما يبدأ الثانى من التركيب أو الشكل ويتدرج إلى المعنى ، وهى القضية التى حاول الكثيرون حل اشكاليتها من خلال نظرية المعانى التوليدية Generative Semantics والنظرية المطورة Extended Semantic Theory التى قال بها نعوم تشومسكى (ص ٢٨) .

« هارتمان » وعلم النص :

يرى « هارتمان » أن الإهتمام المتزايد بالدراسات اللغوية فى العصر الحديث سببه الرغبة فى معرفة الكثير عن عملية الاتصال فى ظل ظروف اجتماعية متغيرة . وهو يشير بذلك إلى ضرورة النظر إلى اللغة فى ضوء عملية التفاعل Interaction التى تتم من خلال الواقع الاجتماعي (ص ٩) أى ضرورة النظر إلى اللغة من زاوية كونها خطاباً إجتماعياً . وهنا يطرح هارتمان السؤال المتكرر أبداً فى هذا المجال ، وهو هل النظر إلى اللغة بوصفها خطاباً يعتبر شيئاً جديداً فى مجال الدراسات اللغوية ؟ ولكى يجيب على هذا السؤال فقد رسم نموذجاً يمثل خارطة للدراسات التاريخية التى لها علاقة باللغة من ناحية كونها خطاباً اجتماعياً ، وانتهى فى تحليل نموذجه إلى النتائج التالية .

أولا : لقد كانت البلاغة هى أول الأمور التى إهتم بها ، ورأى أهميتها فى أنها نظرت إلى اللغة من حيث هى خطاب واقعى . وقد ذهب « هارتمان » إلى أن الدراسات البلاغية قد وضعت الأسس الأولى لما يعرف « بالألسنية التطبيقية » لأنها حاولت أن تضع المبادىء التى يمكن أن يعتمد عليها الخطيب أو المتحدث فى المجال العام (ص ٩) . ويرى « هارتمان » أن الدراسات

البلاغيـة القـديمة قد أوضحت العناصر المشتركـة فى الخطـاب ، وهـى من وجهـة نظره :

أ ــ المتحدث والجمهور .
ب ــ الموضوع والحقيقة أو الواقع .
جـ ــ شكل الرسالة أو نمطها .

وقـد ذهب إلى أن العلاقـة بين المتحـدث والرسالـة تتمثـل فى عنصر التعـبير Expression والعلاقـــة بين الجمهـــور والرسالـــة تتمثـــل فى عنصر الاستقبـــال Reception بينما تتمثـــل الرسالـــة والأشيـــــاء فى عنصر المحاكاة : Memises أو التمثيل (ص ١١) . وقـد اعترف « هارتمان » أن النموذج الـذى قدمته البلاغـة القديمة من المنظور الذى أشرنا إليه يتسم بعنصر الثبـات لأنـه لا يأخـذ فى الاعتبـار متــغيرات الزمـــان والسيـــاق وموضوعـــات الرسالـــة،كما أن النموذج قد أهمل الجوانب التـى تتعلـق بتنـظيم الـنص فى عمليـة الإتصال والاختلافـات القائمـة بين لغات العالم فى نظمها البلاغية .

ثانيا : ذهب « هارتمان » إلى أن الـدراسات الأسلوبيـة Stylistics حاولت الإجابة على تساؤلات مثل ما هى العناصر التى تشكـل الخطـاب الجيـد ، ومـا هى الوسائـل التـى يمكـن أن نستخدمهـا فى التعـرف على أسلـوب الـنص ، وأسلـوب الكاتب وأسلوب النوع Genre وأسلوب الحقبة . وما الـذى يفـرق بين الخصائص الأسلوبيـة والخصائص البلاغيـة (ص ١٢) وعلى الرغـم من تركيـز الـــدراسات الأسلوبية على النواحى الأدبية من وجهة نظره ، فلـم تكـن هنـالك إجابـة واحـدة لكشف العلاقة بين مبدع النص والواقع الذى يريد التعبير عنه أو عملية الاستقبـال التـى ينتهى إليها الـنص . فقـد اختلـفت المدارس فى هذا الاتجاه اختلافـاً كبيراً ، إذ

بينما اتجه بعضهـا إلى النواحـى الوصفيـة كما فعـل « تشارلس بالى » ، اتجه آخـرون إلى النواحـى الوظيفيـة كما فعـل « رونالدبـارت » و « رومـان جاكـبسون » وإتجهت مجموعـة أخـرى إلى النواحـى الوراثيـة كما فعـل « سبيتزر » وإلى النواحى الإحصائية كما فعل « جوستاف هاردن (ص ١٢) ومهما يكن من أمر فإن السمة الغالبة على الدراسات الأسلوبية فى المجال الأدبى من وجهة نظر « هارتمان » هى سمة الذاتيـة التـى لا غنـى عنها فى تلـمس الخصائص الأسلوبية .

ثالثاً : يتمثل الجانب الثالث فى تطور الدراسات النصانية فى نظـر هارتمان فى الدراسات التفسيرية Exegesis التى يستهدف منها الدارسون التوصل إلى المعنى الحقيقى للرسالة . وتقدم شروح التوراة والأناجيل نماذج حية لهذا النوع من الاهتمام فى الدراسات النصانية .

ويرى « هارتمان » أن الدراسات السابقة جميعهـا قد أصبـحت الآن خاضعة للنقد لكـونها قد انحصرت فى دراسة الجمـل والكلمـات بينما أهملت دراسة الوحدات الكبرى التى هى النصوص .

رابعـا : على الرغـم من أن اهتمامـات « هارتمان » قد تركـزت على دراسة الخطاب السياسي فيمكننا أن ننظر إلى آرائه من منظور الدراسات النصانية العامة . وقد ذهب « هارتمان » فى ذلك إلى القول بأن الـدراسات البلاغيـة والتفسيرية التقليدية لم تستطع أن تشرح على نحو كاف عملية الإتصال النصانية من حيث هى عملية واقعية . ويرى « هارتمان » أن التطور الذى حدث فى هذا المجال قد تم فى عام ١٩٣٠ عندمـا قام » « بوهلـر » « وجاكبسـون » و « موريس » بإعادة النظر فى عملية الاتصال وقاموا بتطوير مجموعة من النماذج Models أسهمت فى تكويـن علـم « السيميولوجيـا » الحديث . ويـذهب

« هارتمان » إلى أنــه على الرغــم من إختــلاف الاتجاهــات فى هذا المجال فإن الشيء المشتـرك بينها يمكـن أن يجمـل في العنـاصر السبعـة التاليــة والتــى كان قد أشار إلى أربعة منها من قبل (ص ١٤) .

١ ــ المتحدث أو المرسل .

٢ ــ الجمهور أو المستقبل .

٣ ــ الحقيقة أو الأشياء أو الأحداث .

٤ ــ الرسالة أو النص .

٥ ــ الشفرة أو النظام اللغوى .

٦ ــ الوسيلة .

٧ ــ سياق الموقف .

خامسا : يرى « هارتمان » أن المرحلــة الخامسة هى المرحلــة التــى بدأت معالمهـا خلال الخمسينـات والستينـات والتـى إتجه فيها الباحثـون إلى دراسة ما غدا يعرف بنظرية مواقف الكـلام Speech act theory ونظريـة البلاغـة الحديثـة (ص ١٦) . وقـد تضافــر على الإتجاه الأول من وجهــة نظــر « هارتمان » الفيـلسوف الـذى كان يرى فى اللغـة أداة من أدوات المنطـق والاثنوغـرافى الـذى رأى فى المادة القوليـة وسيلـة من وسائـل معرفـة التفاعـل الثقـافى . كما تضافـر على الاتجاه الثــانى المعلمــون الذيــن حرصوا على تعــليم مادة الإنشاء خاصة فى المدارس الأمريكيـة العليـا (ص ١٦) وعلى الرغـم من أن الإتجاهين من وجهــة نظـره قد خرجـا من الإطـار القـديم الـذى يركـز على دراسة الجمـل ، فلـم يحدث أى من هذيـن الإتجاهين ثورة فى الـدراسات النصانيـة . ومـع ذلك فقــد ركــزا الإهتمام على ضرورة الاهتمام بإستراتيجيـات الاتصال وعــدم الأخــذ بالنظريــة القائلة بأن اللغة هى تتابعات من الجمل .

سادسا : يذهب « هارتمان » إلى أن المرحلة السادسة من هذا المنظور هى التى أفرزت علم النص بمعناه المتعارف عليه حديثا . ويرى أن الهجوم على الدراسات الألسنية من جانب علماء اللغة الإجتماعيين هو الذى أسرع بهذا التطور فى مجالين ، مجال تحليل الخطاب Discourse Analysis و مجال السنية النص (ص ١٧) . ويتركز الاختلاف بين الاتجاهين فى أنه بينما يبدأ تحليل الخطاب من البيئة الخارجية ثم يتجه نحو الداخل لمعرفة الكيفية التى تمت بها عملية التحقق فى داخل النص ، فإن السنية النص Text Grammar تبدأ من داخل بنية النص ثم تتساءل كيف يمكن أن يحقق النص غرضه الخارجى (ص ١٧) ويرى « هارتمان » أن الطريقتين فى واقع الأمر تتكاملان فى الدراسات النصانية ، ذلك أن الرسالة يجب أن تشفَّر فى شكل خطاب ، والخطاب يتخذ شكل نص ، والنص هو مجموعة من البنى التى يمكن تحليلها إلى معان واضحة . ويعنى ذلك أن النص هو البيئة التى تلتقى فيها العناصر اللغوية مع العناصر غير اللغوية Extra - Linguistics وأنه لكى تتحقق النصانية فيجب البحث خارج نطاق الجملة والعبارة ، ذلك أن النصانية هى المجال الحقيقى لمعرفة الأحداث التى تتحكم فى عملية الإتصال (ص ١٩) ويذهب هارتمان إلى أن نظرية أنواع النصوص Text Typology إنما تستمد وجودها من كيفية تنظيم المعلومات فى داخل النص ، وبالطبع فليس بالامكان إيجاد حدود صارمة بين أنواع النصوص بسبب عنصر التداخل الذى هو سمة من سمات الاستخدام اللغوى الذى نشأ عنه ما يسمى بالنص المتداخل Hybrid Text .

يرى « رايزر » أن محاولة « هاريس » فى دراسته الألسنية البنيوية Structural Linguistics كان بداية النهايه للبنيوية التقليدية لأنه حاول وصف اللغة من خلال جمل أساسية Kernel Sentences متعرضاً لما يلحقها من تحويلات تؤدى إلى إنشاء سائر الجمل فى اللغة (ص ٦) . ويمكن بواسطة هذه الطريقة أن تفسر كثير من الجوانب البنيوية المعنوية بالإضافة إلى تفسير الغموض بحسب رأيه ، ويذهب رايزر إلى أن « أريس » قد أشار إلى أن البنيوية التقليدية لم تتعرض إلى الوحدات اللغوية فوق مستوى الجملة لتبين العلاقة فيما بينها . وذلك ما دعاه لأن يقترح ضرورة العناية بتحليل الخطاب من أجل تحقيق هذه الغاية . ويرى « رايزر » أنه على الرغم من أن فكرة التحويلات Transformtions قد وجدت دفعة قوية من تشومسكى ومدرسته ، فإن الإهتمام بتحليل الخطاب قد أتى فى فترة متأخرة نسبياً . وذلك حين حاول « بيرويش Bierwish مناقشة الفكرة التى دعا إليها « هاريس » عام ١٩٦٥ . وقد ذهب « رايزر » إلى أنه فى إطار مفهوم تحليل الخطاب Discourse Analysisيمكن معرفة التتابعات الجميلة المقبولة،وتلك التى تعتبر غير مقبولة، كما أن طريقة التحليل اختلفت من باحث لآخر، وذلك ما دعا «بيرويش» إلى المناداة بعلم للنص يكون نظيراً لمفهوم القدرة Competence عند تشومسكى . ويرى رايزر » أن « بيرويش » بهذه الدعوة كان من أوائل الذين نادوا بما عرف أخيراً بمفهوم التناسق فى النص Cohesion (ص ٧) . وقد ذهب « رايزر » إلى أن آراء « هاريس » لم تعرف فى أوربا بسبب طغيان الدراسات

الفيلولوجية ، وتأثير مدرسة براغ » على الدراسات الألسنية فيها (ص ٧) . إلا أن المبررات التى أعطيت أخيراً لظهور علم النص فى أوربا كانت هى نفس المبررات التى ساقها « هاريس » من قبل فى أمريكا . ويرى « رايزر » أنه على الرغم من أن الدراسات النصانية قد تأثرت فى أول أمرها بالشكلانية الروسية والبنيوية الفرنسية مما دعا « انجرادن » و « رينية » و« ويلك » إلى المطالبة بأن يعتمد التفسير على وصف بنية النص (ص ٧) فقد إتجه الإهتمام إلى الألسنية كى تقدم وسيلة الوصف المناسبة . وقد جاءت المحاولة الأولى فى هذا الاتجاه من هارويج Harweg الذى عالج قضية الإبدال فى النص Substitution على النحو الذى شرحناه فيما قبل . وقد ذهب « رايزر » مع ذلك إلى القول بأنه على الرغم من إضافات هارويج فى كيفية ترابط النص فليس من الممكن باستخدام طريقته معرفة ما هو نص وما هو غير نص ، كما أن هذا الأسلوب لا يوضح الخصائص التى تقوم عليها فكرة النصانية .

يرى « رايزر » أن الإتجاه الذى ساد خلال الستينات هو محاولة إيجاد نحو للنص على الصورة التى دعا إليها « بيرويش » على أن يستفيد هذا النحو من الأسس النظرية التى قام عليها النحو التوليدى (ص ٨) لاسيما فى النواحى التى تتعلق بالجمل الصحيحة وغير الصحيحة ، وكذلك الجمل المقبولة وغير المقبولة وذلك ما جعل هذا الإتجاه فى نظره يتأثر بنظرية تشومسكى من ناحية ، وآراء « كاتز » Katz فى المعانى من جهة أخرى . ويذهب « رايزر » إلى أن اللغويين الذين رأوا الاستفادة من آراء المدرسة التحويلية التوليدية قد إنتهوا إلى أن المجال الحقيقى لتطبيق أفكار هذه المدرسة هو النص وليس الجمل المنعزلة .

ثالثا : ذهب « رايزر » إلى القول بأن نحو النص يبدأ فى اللحظة التى يفشل فيها نحو الجملة عن الإجابة على المسائل اللغوية ، ويرى أن القول بأن النص يشكل علماً مستقلاً هو أمر متروك للمستقبل كى يجيب عليه . ويتضح أنه يختلف فى هذه الناحية مع « دوبوجراند » وغيره م الذين قرروا منذ البداية أن علم النص لابد أن يكون علماً مستقلا وقائماً بذاته .

رابعا : على الرغم مما انتهى إليه « رايزر » فى الفقرة السابقة ، فقد ركز على ما ذهب إليه بيتوفى Petofi من أسباب تدعو إلى ضرورة ظهور علم النص ويجملها فيما يلى :

١ ــ لا يستطيع نحو الجملة أن يقدم تعليلاً واضحاً لقوانين التناسق فى الجمل والمسائل التى تتعلق بالقضايا Themes وجواباتها Rhemes .

٢ ــ عدم القدرة على الإجابة على سائر القضايا اللغوية من خلال الإتجاه الوصفى الذى تسير عليه الألسنية الحديثة (ص ١) .

٣ ــ لابد أن يفرق النحو بين العناصر التى تتعلق بالمتحدث وتلك التى تتعلق بالمستقبل ، وذلك ما يجعل امكانية الاستفادة من الألسنية التحويلية شيئا مطروحاً للنقاش :

ويذهب « رايزر » إلى أنه بينما كان اهتمام « بيتوفى » مركزاً على النواحى النحوية فإن إهتمامات « فان دايك » عام ١٩٧٢ قد تجاوزت ذلك إلى النواحى الإجرائية (ص ١١) . والتى دعت إلى مراجعة نظرية «تشومسكى» فى القدرة من خلال بحث الجوانب السايكلوجية ، وذلك ما جعل « فان دايك » يستنبط مفهوم البنية الكلية Macro - Structure والتى يتم التعبير عنها من خلال البنى الصغرى فى داخل النص .

وعلى الرغم من تلك التطورات فى مجال النظرية التوليدية التحويلية ونظريات المعانى التحويلية فيرى « رايزر » أنه لم يتم الاستفادة من تلك التطورات فى مجال التفاعل Interaction الذى هو البيئة الأساسية لإنشاء النصوص ، أى أنها لم تركز على القضايا المتعلقة بكيفية إنتاج النصوص واستقبالها .

خامسا : على الرغم مما ذهب إليه « رايزر » **فهو** يرى أن علم النص لا يسير فى إتجاهات محددة ، وأن الخطوة التى خطتها هذه الاتجاهات فى مراحلها الأولى هى محاولة إيجاد منطلقات مختلفة لوصف النصوص سواء فى مستوى المعانى ، أم فى المستوى الليكسوغرافى (المعجمى) أم فى مستوى النظرية الألسنية بصفة عامة .

الفصـــل الثـــانى

علم النص فى منظور هاليدى النُظمُى

على الرغـــم من الانجازات التـــى قام بها كل من « دوبوجرانـــد » و « درسلر » و« فان دايك » فى مجال علم النص ، فما يزال « هاليـدى » يتمتع بأكبر شهرة فى هذا المجال وذلك لسببين :

الأول : هو أن هاليدى يعتبر إمتداد طبيعياً للألسنية التقليدية ، وتعتبر إنجازاته فى هذا المجال تكملة لأعمال أستاذه « فيرث » وذلك ما جعـل كثيراً من اللغويين المعاصرين يطلقون على اسهامه مصطلح « الفيرثية الجديدة » . والسبب الثاني هو أن « هاليدى » طور الإتجاه النظمـى بدرجـة كبيرة بحيث إكتسبت أراؤه قدراً من المرونة جعـل تطبيقهـا على سائـر المجالات سواء في مجال علم النص أو الألسنية التقليدية أمراً فى غاية السهولة . لذلك فقد رأيت أن أفرد لـ « هاليدى » هذا الفصل الخاص الذى أستهدف به توضيح مفهوم النص من منظوره الخاص .

يبدأ « هاليدى » فصله سياق المقام Context of situation بالتأكيد على أنه سوف يركز حديثه أولاً على اللغة من حيث هى ظاهرة إجتماعية ، وقد ساقه ذلك إلى تعريف المكونين الواردين فى المصطلح المشار إليه سابقاً . وقد بدأ الحديث عن اللغة فى المنظور العلامـى الاجتماعـي Semiotic Perspective ففرق بين منهجه ومنهج الذين سبقوه . فقد ذهب « هاليدى » إلى أن الذين

درسوا العلامة فى الماضى قد ركزوا على منظور ذرى تجزيئى إنعزالى . ويختلف ذلك عن منهجه الذى يتجه إلى دراسة العلامة Sign كنظام للمعانى Sign System . ويتضح من ذلك أن البعد الوظيفى عند هاليدى هو الأساس الذى يعتمد عليه فى دراسته للعلامة . وقد قاده ذلك بالضرورة إلى تعريف جديد للألسنية على أنها دراسة لعلامية المعانى . ولا يحصر « هاليدى » منهجه النظمى فى دراسة اللغة فحسب إذ هو يؤكد على أن هناك نظماً متعددة للتعبير عن المعانى فى الثقافات المختلفة مثل الموسيقى والرقص والنحت ونحو ذلك (ص ٤) وتعنى الثقافة فى مجملها عند « هاليدى » مجموعات من النظم العلامية ، أو النظم المعنوية التى تتداخل مع بعضها بعضاً ، وذلك ما يبرر عنده ضرورة دراسة الرموز التى تدل على تلك النظم على أنها شبكات ترتبط إرتباطاً وثيقاً بما تدل عليه ، وليس على أنها نظم مجردة كما ذهب إلى ذلك « فرديناند دى سوسير » ويرى « هاليدى » أن المكون الثاني فى عبارته التى ذكرت أنفاً ، أى المكون الاجتماعي هو قرين للمكون أو النظام الثقافى . ذلك أن النظام الثقافى الذى يمكن أن يستبدل بمصطلح النظام الإجتماعى هو فى حقيقته نظام للمعانى . ويرى هاليدى فى ضوء ذلك أن اتجاهه يستهدف در اسة علاقة اللغة بالبنى الاجتماعية ، وذلك من حيث أن هذه العلاقة هى أحد مكونات النظام الاجتماعى . وعلى الرغم من أن « هاليدى » قد لاحظ أن كثيرين قد درسوا اللغة من زوايا مختلفة مثل الزاوية السايكلوجية ، والزاوية الاستاطيقية ، فهو لا يرى منهجه يستهدف إلغاء المناهج السابقة ، بل على العكس من ذلك فهو يضيف إليها البعد الإجتماعي الذى يعتبره « هاليدى » أساسياً بالنسبة للمعانى اللغوية ، وذلك ما يجعل إتجاهات « هاليدى » تتسم بالمرونة والقابلية .

هاليدى ومفهوما السياق والنص :

يحدث التحول الأساسي عند « هاليدى » من خلال إعترافه بأن فهم اللغة كنظام يستوجب فهم الكيفية التى تعمل بها النصوص . ويعنى ذلك بإختصار إنتقال « هاليدى » من الإهتمام بمستوى الجملة كما كان شأنه فى السابق إلى الإهتمام بمستوى النص . ويستعير « هاليدى » هنا من دراساته السابقة مفهوم السياق Context الذى يعتبره مع النص Text يشكلان وجهين لعملة واحدة (ص ٥) . ذلك أن السياق بحسب مفهوم هاليدى هو النص الآخر ، أو النص المصاحب للنص الظاهر . والنص الآخر لا يشترط أن يكون قولياً إذ هو يمثل البيئة الخارجية للبيئة اللغوية بأسرها ، وهو بمثابة الجسر الذى يربط التمثل اللغوى ببيئته الخارجية ، ونظراً لأن السياق يسبق فى الواقع العملى النص الظاهر أو الخطاب المتصل به ، فقد رأى « هاليدى » أن يعالج موضوع السياق قبل أن يعالج موضوع النص .

يرى هاليدى أن نظرية السياق قد نشأت قبل نظرية النص ، وذلك من خلال مفهوم سياق الموقف Context of situation الذى قال به « مالينوفكسى » Malinwiski (ص ٥) والذى عنى به البيئة الشاملة التى يدور عليها النص . وقد أدخل مالينوفسكى مفهوماً آخر هو مفهوم سياق الثقافة Context of Culture الذى رآه مع سياق الموقف ضروريين لفهم اللغات والثقافات البدائية ولا يشكلان نفس الأهمية بالنسبة للغات التى تستخدمها المجتمعات الحضارية ، وقد تراجع فى فترة لاحقة عن هذا الاعتقاد ورأى نوعى السياق مهمين لسائر أنواع اللغات والمستويات الحضارية . وقد أخذ المفهوم فيما بعد « فيرث » أول أستاذ فى علم اللغة فى الجامعات البريطانية وطوره على أساس

أن موضوع الألسنية الرئسى هو دراسة المعنى الذى هو فى نهاية الأمــر دراسة السياق بصفة عامة . ويرجــع الخلاف بين « فيرث » ومالينوفسكـــى فى هذا الخصوص إلى أن فيرث حاول أن يجعل من مفهوم سياق الموقف مفهوماً عاماً وأساسياً فى نظرية اللغـــة ، بينما حصره « مالينوفسكـــى » فى نصوص خاصة استقاها من بعض رحلاته الأنثربلوجية (ص ٨) . لذلك فقد اهتم « فيرث » بالمشاركين فى الخطاب Participants وبالفعـــل Action سواء كان قوليـــاً أم غير قولى بالإضافة إلى الظواهر الأخرى فى الموقف سواء كانت اشيـــاء أم حوادث والآثار التى يحدثها الخطاب فى المشاركين فيه Effects . وقد أخذ « ميتشيل » هذا النموذج وطبقة على كثير من النماذج اللغوية الواقعية . وقد تبع « فيرث » أيضا ديل هايمز Dell Hymes فيما أسماه باثنوغرافية الإتصال مع شيء من التطوير للفكرة الأساسية . وتأتى المرحلة الأخيرة وهى مرحلة « هاليدى » التى تتسم بنزعتها العملية والبراجماسية . فقد ظل « هاليدى » يتساءل دائماً عن الأسباب التى تجعل الاتصال بواسطة اللغة ممكناً على الرغم من العقبات التى تقف فى طريقها . وقد وصل هاليدى إلى مسلمة أساسية وهى أننا بالتعامل . مع اللغات لا نتوقع فى الواقع مفاجآت وإنما نتوقع ما سيقوله لنا الآخرون ، ولا ينفى ذلك حدوث المفاجآت فى بعض الأحيان . وهكـــذا رأى « هاليـــدى » أن مهمـــة اللغوى تتركز فى معرفة الوسائل التى تمكن المشاركين فى الخطاب اللغوى من تأسيس تلك التوقعـــات ويأتى فى مقدمة هذه الوسائـــل مـــن وجهـــة نظره سياق الموقف الذى يسهم فى جعل عملية الإتصال ممكنه وسهلة .

النص فى مفهوم هاليدى :

بعد أن فرغ « هاليدى » من تحديد مفهوم السياق وبيان أهميته إتجه إلى محاولة تعريف النص ، فذهب إلى أن النص هو اللغة التى تخدم غرضاً وظيفياً أى هو اللغة التى تخدم غرضاً فى إطار سياق ما . وقد يكون النص منطوقاً أو مكتوباً . ويقرر هاليدى أنه على الرغم من أن النص يظهر فى شكل كلمات أو جمل ، فإنه فى الحقيقة نظام من المعانى تمت برمجتها فى نظام الشفرة اللغوية Coding من أجل استنطاقها لكشف المعانى الداخلة فيها Decoding . ويرى هاليدى أن النص فى ضوء هذا المفهوم ما هو فى حقيقته سوى وحدة معنوية (ص ١٠) ويعنى ذلك أن النص ليس مجرد جملة أكبر .

ويتفق « هاليدى » مع « دوبوجراند » فى أن علم النص لا يمكن أن يكون مجرد امتداد لعلم النحو ، أو أى نظام عرفى Virtual يعرف لنا ماهية النص ، ذلك أن التفسير الشكلى للجمل فى خارج إطار السياق يختلف عن تفسيرها وهى مرتبطة بسياق معين . ويرى هاليدى من هذه الزاوية أنه لابد أن ينظر إلى النص من زاويتين،زاوية أنه ناتج Product ، وزاوية أنه عملية Process ويعنى بكون النص ناتجاً امكان دراسته من حيث مكوناته الظاهرة التى يمكن إبرازها كنظام لغوى علامى . ويعنى بكونه عملية أنه يخضع لعمليات اختيار مستمرة تحددها السياقات البيئية للنص . ويذهب « هاليدى » إلى أن نظرية التفسير Exegesis أو Explication de Texte هى نوع من التعليق على الناتج الذى يكشف عن الطبيعة الديناميكية للنص بصفته عملية (ص ١١) إلا أن التعليق من وجهة نظره لا يعتمد على النظام الذى يقوم عليه النص، وتكمن

خطورته فى أنه لا يوجد نص بدون نظام ، أى أن عدم خضوع التفسير للضوابط التي تحكم النظام النصانى قد تخضعه لكثير من ألوان الشطط والبعد عن المعنى المراد . ولكن يجب فى نفس الوقت التوفيق بين النظام اللغوى الذى يحكم النص وذلك الذى يحكم المعانى لأنه لا خير فى نظام لغوى صارم يجد الناس صعوبة فى إستخدامه فى الواقع العملى بحسب مفهوم هاليدى . ويقود ذلك هاليدى إلى إعتبار النص فى واقعه الاجتماعي عملية تفاعل يتم بواسطتها تبادل المعانى ، أى هو نوع من الحوار بين المتخاطبين باللغة.وهنا تبرز عند هاليدى أهمية محاولة ربط مفهوم النص بالسياق ومعرفة الكيفية التى يكوِّن بها الناس توقعاتهم لما يأتى فى النص من خطاب .

وإذا كنا سنركز فى مرحلة لاحقة على الأسس السبعة التى أشار إليها « دوبوجراند » بإعتبارها المقومات الأساسية فى بناء النصانية فإننا نجد هاليدى من ناحية أخرى يركز على ثلاثة مظاهر أساسية لسياق الموقف ، وتؤثر تأثيراً بالغاً فى معالم النص . ويمكن إجمال هذه المظاهر فيما يلى (ص ١٢) .

أولا : المجال Field ويعنى به هاليدى الموضوع الأساسي الذى يتخاطب فيه المشاركون فى الخطاب والذى تشكل اللغة أساساً مهماً في التعبير عنه .

ثانيا : نوع الخطاب Mode وهو نوع النص المستخدم لإكمال عملية الإتصال . ويركز هاليدى هنا على طريقة بناء النص والبلاغة المستخدمة فيه ، وما إذا كان مكتوباً أم منطوقا ، وما إذا كان نصاً سردياً أم أمرياً أم جدلياً ونحو ذلك .

ثالثا : المشتركون فى الخطاب Tenor ويعنى هاليدى بهذا المفهوم طبيعة العلاقة القائمة بين المشاركين فى الخطاب ونوع العلاقة القائمة فيما بينهم ، هل هى رسمية أم غير رسمية ، عارضة أم غير عارضة ونحو ذلك .

وسوف نلاحظ أن تلك المبادىء الثلاثة قد حكمت معظم التطورات اللاحقة فى مفهوم النصانية عند هاليدى،بل وقد تعدته إلى كل تلاميذه والمتأثرين به الذين وجدوا فيها مجالاً رحباً ، وهم يعالجون القضايا المتعلقة بالبنية السيميولوجية والإتصالية ، والبراجماسية للنصوص بالاضافة إلى قضايا « الرنجستر » Register

يتضح مما عرضنا إليه أن هاليدى ، ذهب إلى تفسير سياق الموقف من خلال إطار فكرى يقوم على ثلاثة دعائم هى المجال ، ونوعية الخطاب ، ووسيلة الخطاب . ويمكننا تعريف وظائف اللغة والتى يخدمها النص بحسب مفهوم هاليدى على أنها المكونات الوظائفية للنظام المعنوى . ويقسمها هاليدى إلى ثلاثة مكونات هى (ص ٢٩) .

أولا : المكون الفكروى Ideational وينقسم إلى قسمين :

القسم الأولي هو المكون المنطقى Logical والقسم الثانى هو المكون الخبرى Experiential .

ثانيا : المكون العلائقى Inter - Personal وهو الذى يحدد نوعية العلاقة اللغوية بين المشاركين فى الخطاب .

ثالثا : المكون النصانى اللغوى Textual وهو الشكل العلامى الذى يتخذه الخطاب من أجل أن يخدم غايته الوظيفية . ويبدو واضحاً أن مكونات « سياق الموقف » عند هاليدى تتطابق تطابقاً تاماً مع وظائف النظام المعنوى

للغة ، إذ يتطابق المجال مع المكون الفكروى ، وتتطابق نوعية الخطاب Tenor مع المكون العلائقىInter-Personal كما تتطابق وسيلة الخطاب Mode مع المكون النصانى . ويأتى هذا التطابق من حقيقة أن عناصر سياق الموقف هى التى تحرك العناصر الوظيفية وتعطيها وجودها المستقل .

ويمكننا أن نوجز مجمل ما ذهب إليه هاليدى فى أن النص هو مجرد وحدة لغوية تخدم غرضاً وظيفياً ويستند إلى ثلاثة عناصر رئسة . العنصر الأول هو العنصر الفكروى ، والذى يستند إلى الخبرة المراد التعبير عنها وبها . ويستند هذا العنصر على المكون المنطقى للغة ، والعنصر الثانى هو«الريجيستر» أى نوع الخطاب الذى سيتم إستخدامه ومدى تأثره بالعناصر الإنسانية المشاركة فيه ، والعنصر الثالث هو النص نفسه من حيث هو وجود لغوى يخضع لضوابط النظام العلامى للغة ، وسنلاحظ فى مرحلة لاحقة أن التطور الذى قام به الدكتور باسل حاتم لمفاهيم هاليدى يتركز فى جعله هذه العناصر أكثر وضوحاً فى علاقتها مع بعضها بعضاً ، وذلك من خلال إعادة تسميتها وتحديدها ، فقد جعلها الدكتور حاتم ثلاث طبقات Layers هى الطبقة البراجماسية ، والطبقة الاتصالية . والطبقة العلامية . وإذا كان هاليدى قد إهتم بهذه المجالات الثلاثة التى تشكل النص فقد اهتمت رقيه حسن التى شاركته معظم آرائه بعنصر آخر في بنائية النص وهو عنصر النظم Texture الذى سنعرض له فى الفقرة التالية .

رقية حسن ومفهوم النظم Texture :

ذهبت رقية حسن إلى أن وحدة النص تعتمد على عنصرين أساسيين ، العنصر الأول هو بنية النص التى تتحكم فيها العناصر الثلاثة التى أشار إليها هاليدى سابقا (عناصر سياق المقام) . والعنصر الثاني هو عنصر النظم

Texture . والنظم فى نظر رقية حسن هو ذلك المكون الذى يتحكم فى علاقات المعانى داخل النص ويكون وحدتها . ويمكن استقصاؤه من خلال بعض العوامل اللفظية والنحوية . وعلى الرغم من أن النظم يخضع لبعض القوانين المحددة فى الإستخدام العلامى للغة ، فإن الحكم يخضع فى النهاية إلى تقدير المستمع من حيث هو الذى يتلقى الرسالة وتنتهى أهدافها فى عقله . ويجب ألا يخلط بين هذا الذى تقوله ونظرية القراءة التى قال بها « رونالدبارت »،ذلك أن نظرية القراءة لا تتناول قضية إخفاق المرسل،لكون النص يصنعه فى النهاية قارئه. وأما نظرية النظم فهى تتيح للقارىء فرصة نقد الرسالة وإدراك ما فيها من إخفاق وكمال نظمى. وقد ذهبت رقية حسن إلى تحديد العوامل التى تحقق النظم فى النص فيما يلى :

أولا : أدوات الربط Cohesive Devices :

وتقوم أدوات الربط بتحقيق العلاقات المرجعية Co - refrentiality فى داخل النصوص مثل قولنا .

أ ــ أمتلك كتابا .

ب ــ وهو يعالج قضية سياسية .

فالضمير « وهو » يشير فى السطر الثانى إلى ذلك الكتاب ولا كتاب غيره . وقد تأخذ هذه العلاقات المرجعية أشكالا مختلفة كما فى المثال التالى :

أ ــ أمتلك كتابا .

ب ــ وأخى يمتلك حصانا .

جـ ــ لكنه لا يركبه .

فإذا نظرنا إلى الجملة فى السطر «ب» وجدنا أنها لم تستهدف الاشارة إلى شيء فى الجملة (أ) وإنما استهدفت أن تضع تصنيفاً مغايراً للمالك والمملوك . ويسمى هذا النوع Co - Classification وأما الجملة (جـ) فقد مدت المعنى إلى مفهوم جديد لا يرتبط بالإمتلاك ولكنه دون شك يرتبط بالجملة « ب » وهذا النوع من الإمتداد يسمى فى اللغة الإنجليزية Co - extension .

وتنبهنا رقية حسن إلى أن عوامل النظم التى تحدد علاقات المعانى فى داخل النص قد لاتكون بهذه البساطة أو المباشرة ، ذلك أن كل وحدة لغوية إنما تشتمل على بيئتين ، البيئة الأولى هى البيئة اللغوية ، والبيئة الثانية هى ما وراء البيئة اللغوية Extra-Linguistics ويعنى ذلك أن التفسير قد يتم من داخل البيئة اللغوية أو من خارجها . وتسمى أداة الربط أداة داخلية Endophoric حين تعمل فى إطار البيئة اللغوية للنص Cotext وترى رقية حسن أن هذا النوع من الروابط يعتبر مهما لبنائية النص (ص ٧٦) وقد تشير أداة الربط إلى عنصر سابق عليها Anaphoric أو لاحق عليها Cataphoric وأما إذا كان العنصر المشار إليه خارج البيئة اللغوية للنص فيصطلح على تسميته فى الانجليزية Exphoric reference .

ومهما يكن من أمر فإن مجمل ما ذهبت إليه رقية حسن فى مسألة النظم لا يخرج ، عما ذهب إليه البلاغيون العرب وبخاصة عبد القاهر الجرجانى فى كيفية إحداث الابلاغ . وعلى الرغم من ذلك فما تزال هنالك كثير من القضايا التى لا يمكن تفسيرها إلا من منظور بلاغى وجمالى خالص ومن تلك قضايا الغموض والتكرار والحشو الوظيفى وسائر المسائل التى هى من سمات اللغة الأدبية على وجه الخصوص .

الفصـــل الثـــالث

مفهوم النصانيـة

أود أن أركز فى البداية على أن كثيراً من الآراء التى إستند عليها علماء النص المعاصرون قد عرفت طريقها إلى الدراسات البلاغية والنقدية القديمة ، ولكن ذلك لا يجعلنا ندخل فى مغالطات تاريخية وموضوعية حول ما ذكره هؤلاء العلماء ؟ ذلك أن الفرق بين دراسات علم النص الحديث والدراسات النقدية والبلاغية القديمة هو نفس الفرق بين الألسنية الحديثة والدراسات اللغوية القديمة ، أى هو فرق فى المنهج وموضوع البحث ، ولذلك فسوف نقبل ما ذهب إليه « دوبوجراند » واتباع مدرسته من هذه النواحي وحدها .

يرى « دوبوجراند » أن الكتاب الذى نشره في نهاية عام ١٩٦٧ م بالاشتراك مع « ولفانج درسلر » Wolfang Dressler بعنوان «مقدمة فى علم النص » كان باكورة البحوث فى هذا المجال الذى لم يلتفت إليه أحد من قبل (Xi) وعلى الرغم من أن إتجاه « درسلر » فى ذلك الوقت كان يميل إلى تطبيق المنظورات الألسنية على النصوص،فقد رأى « دوبوجراند » أن هذا الاتجاه يقصر عن الرؤية التى بدأت معالمها تتضح خلال الثمانينات،وهى الرؤية التى لا تميل إلى اعتبار النصوص وحدات تكبر فى حجمها عن الجمل بينما تحتفظ بنفس خصائصها ، ذلك أن النص فى رأى « دوبوجراند » يتميز بقيمته الاتصالية ، ويعنى ذلك أنه بينما تظل الجملة المنعزلة مجرد وجود منطقى فإن وجود النص يتميز فى الأساس بخاصيته الاتصالية . ولا نفهم من

ذلك أن الجملة لا يمكن أن تكون نصاً ، ذلك أن النص هو كل وحدة كلامية تخدم غرضاً إتصالياً ، ويمكن أن تتدرج هذه الوحدة من مستوى الكلمة إلى مستوى العبارة إلى مستوى الجملة إلى مستوى النص وهلمجرا .

ويذهب « دوبوجراند » إلى أن دراسة النص من هذا المنظور تختلف عن دراسة الجملة من المنظور السوسيرى الخالص ، ذلك أن دراسة النص من هذا المنظور تتطلب توحيد مجموعة من العلوم التى تعالج القضايا الذهنية والاجتماعية والسايكلوجية فى الدراسات النصانية، لكون هذه العلوم تتداخل فى إضاءتها لكثير من جوانب الدراسات النصانية . ويرى « دوبوجراند » أن الدراسات النصانية قد مرت بثلاث مراحل رئسة ، المرحلة الأولى هى التى انتهت بحلول الستينات ، ولم تكن ذات أثر يذكر على تيار ألسنية الجملة الغالب ، وكان من رواد هذه المرحلة « انجاردن » و « بوهلر » و « همسلف » وغيرهم . وقد بدأت المرحلة الثانية فى نهاية الستينات وعلى وجه التحديد عام ١٩٦٨ حين بدأ عدد من العلماء مثل « رقية حسن » و « بايك » و « ايسنبرج » يعملون بشكل منفرد فى مجال الدراسات التى تتجاوز مستوى الجملة.(١١×) إلا أن إتجاه هؤلاء لم يحرز أثراً حاسماً لكونه نظر إلى النصوص على أنها تتابعات لمجموعات من الجمل . وكما رأينا فقد ذهب « دوبوجراند» إلى أن من أهم الحركات التى ظهرت فى عام ١٩٦٨م حركة الاحتجاج على إتجاه النحو التحويلى التوليدى والتى أدت إلى ظهور نحو الحالة « Case Grammar » الذى راده « فلمور » وإتجاه المعانى التحويلية الذى راده « ماكولى » و « لاكوف » وغيرهما.وعلى الرغم من أن هذه الاتجاهات أظهرت بعض جوانب القصور فيما يتعلق بتناول قضية المعنى عند النحويين ، فقد حافظت في مجملها على المبادىء الأساسية التى قامت عليها ألسنية الجملة .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان الاتجاه فى المرحلة الثالثة التى بدأت عام ١٩٧٢ ، يتركز على محاولة إيجاد نظرية بديلة تحل محل النظريات الألسنية السائدة والتى ثبت عدم قدرتها على الصمود فى وجه التساؤلات الأساسية التى تستوجبها الدراسات اللغوية المتكاملة . وقد قام هذا الإتجاه على جهود طائفة من العلماء كان فى مقدمتهم « فان دايك » و « دوبوجراند » و « درسلر » وغيرهم . ويلاحظ أن كثيرين ممن أسهموا فى هذه الإتجاهات كانوا من العلماء الذين ظلوا يحتجون على إستقلالية الدراسات الألسنية عن « السياق الإجتماعي » بالاضافة إلى علماء الحاسوب الذين حاولوا أن يدرسوا الكيفية التى تتم بها برمجة اللغة في عقل الإنسان ، وذلك من أجل الاستفادة منها فى مجال دراسات الحاسوب . وكما ذهب « دوبوجراند » فقد حاولت هذه الاتجاهات جميعها معرفة أكثر من وصف مكونات الجملة . لقد حاولت معرفة الكيفية التى يستخدم بها الإنسان اللغة الطبيعية . وهكذا بدأ «علم النص » يغزو الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث في مختلف أنحاء العالم .

القضايا الأساسية التى قام عليها علم النص من منظور « دوبوجراند » :

يرى « دوبوجراند » أن تحولاً أساسياً قد حدث فى الدراسات اللغوية المعاصرة بالإنتقال من دراسة الجمل المنعزلة إلى دراسة النصوص التى تعبر عن اللغة فى حالة الاستخدام الفعلى التى هى مواقف الإتصال . ولا يعتبر « دوبوجراند » هذا التحول مجرد تحول للتعامل مع وحدات أكبر، بل هو تحول يستهدف فى أساسه دراسة العمليات التى يتم بواسطتها توظيف اللغة كأداة من أدوات الإتصال ، وذلك ما أوجب الإهتمام بكثير من العلوم التى

تدخل فى هذه العمليـة مثـل علـم الإجتماع والفلسفـة ، والسايكلوجيـا والحاسوب والسميولوجيا ونحوها . وقد ذهب « دوبوجراند » إلى أن علم النص يبدو من هذه الزاوية على أنه المجال القـولى للسيميلوجيـا ص (٢) ، ونلاحظ منذ البداية أن « دوبوجراند » يفرق تفريقاً واضحاً بين مفهوم النص ومفهوم الخطاب ، ذلك أنه بينما يرى النص هو أداة الإتصال ، فإن الخطاب Discourse عنده هو مجموعة النصوص المرتبطة ببعضها بعضاً ، والتى يمكن أن تواصل فى وقت لاحق . مثـل أن نقـول الخطـاب الأدبى ، والخطـاب الدينـى ، ونحو ذلك . ولا شك أن الكثيريـن قد يختلفـون مع « دوبوجراند » فى مثل هذا التعريف ، ولكن ذلك لا يشكل أهمية خاصة لأن المصطلح فى هذا المجال ما يزال عرضة لتقلبـات كثيرة ، والمهـم هو أن يكون التعريف واضحاً في إطار السياق الذى يستخدمه الكاتب .

ويبدو واضحاً أن النظرية الأساسية التى يستند عليها « دوبوجراند » فى تعامله مع النص هى نظريـة النظـمْ System Theory والنظـام فى نظـر « دوبوجراند » هو الوحدة التى تجعل مجموعة من العناصر تتفاعل من أجل تشغيل البنية الكلية للنظام ص (٥) وهذا هو نفس المنطق الذى بدأ منـه « سوسير » و « هاليدى » و و « لابوف وغيرهم.ويذهب « دوبوجراند » إلى أن النظام اللغوى بصفة عامة يقوم على تفاعل بعض العناصر التى يمكن ملاحظتها مع بعض العناصر الأخرى التى لا يمكن ملاحظتها . ، ونظرا لأن هذا الجانب سوف يتضح بصورة كاملـة من خلال عرضنـا لأراء « دوبوجراند » فأرى إلا نعالجه فى هذا الموضع بغيـة الاختصار وعـدم الخروج من موضوعنا الأساسي . ومع ذلك فسوف نشير إلى بعض النواحـى التى توضح الاختـلاف الأساسي بين منهجيـة « دوبوجرانـد » ومنهجيـة

الدراسات التى سبقته فى مجال الألسنية .

يرى « دوبوجراند » أن المرحلة الأولى فى الدراسات الألسنية المعاصرة قد تميزت بمنهجتها الوصفية Discriptive Linguistics وقد انجزت هذه المرحلة وصفاً لكثير من اللغات من خلال المفاهيم التاجميمية التى طورها بايك ١٩٦٧ و « روبرت » لونجاكر » وغيرهما ، وقد أهملت هذه المرحلة كثيراً من الجوانب المؤطرة فى البنية اللغوية مثل إستراتيجيات الإتصال والعمليات الذهنية ونحو تلك من الأمور التى يحفل بها الوصفيون .

ولقد اختلف إتجاه التحويليين عن إتجاه الوصفيين من حيث إنه ركز على الجوانب المنطقية فى اللغة . وقد حاول أن ينشىء نموذجاً لغوياً صارماً ظهرت المفارقة بين شكله المثالى وواقع اللغة التطبيقى . ذلك أن الألسنية التحويلية قد ركزت على إيجاد نموذج لغوى مثالى يتحدثه المتحدث الأصيل باللغة ، وهو أمر لا يتحقق فى العادة فى الواقع ، إلا أن ذلك لا يقلل من أهمية الاتجاه التحويلى الذى فتح مجالات كثيرة فى البحث اللغوى سواء فى جوانب البرمجة اللغوية ، أم فى الجوانب الإبداعية للأستخدام اللغوى . ولكن «دوبوجراند» يرى رغم ذلك أن الاتجاه التحويلى يظل ناقصاً حتى يوضح الكيفية التى يتم بها إنشاء النصوص وفهمها ص (٥) .

ومهما يكن من أمر فإن دوبوجراند » يرى أن من أهم ما أنجزته الإتجاهات السابقة هو أنها نظرت إلى اللغة على أنها نظام يمكن تحليله بأساليب منهجية وليس مجرد أصوات غير خاضعة للنظر الموضوعى . وأما جوانب القصور فقد تركزت على النماذج Models التى تم بها وصف اللغة ، ذلك أن ما إتجه إليه الوصفيون هو تكوين تجمعات للوحدات اللغوية الصغيرة Toxonomics « النظام الصوتى ـــ النظام المورفولوجى النظام النحوى ونحو

ذلك » ولكن ذلك لم يكن إتجاه التحويليين الذين إهتموا بالجوانب التي تنتمي إلى اللغة وتلك التي لا تنتمي إليها . وقد ذهب التحويليون إلى تحديد القواعد التي يمكن بها إنتاج الكلام أكثر من اهتمامهم بالتصنيفات الجملية كما فعل الوصفيون . ويبدو من ذلك أن اتجاه التحويليين لم يهتم بالقواعد المجردة التي يتم بها تكوين الكلام الصحيح حسب مفهوم الوصفيين ، وذلك ما جعل مهمة التحويليين تتسم بالصعوبة ، ذلك أن مثل هذه القواعد إنما تتمثل فقط في البنية الشكلية للغة ولا تختص بالأمور الخارجة عن تلك البنية مثل السياق Context الذي هو الأساس الذي يحكم البنية الشكلية كما ذهب إلى ذلك « دوبوجراند » ص (٦) ، ويبدو وفق هذا المنظور أن النموذج الألسني الذي لا يستطيع أن يقدم شيئاً غير وصف الجمل لا يستحق أن يوصف بأنه توليدي Context لأن الاسم الصحيح له هو أنه نموذج وصفي .

ومهما يكن من أمر فقد كان التيار السائد في الإتجاهات الألسنية السابقة هو عزل الجوانب اللغوية والتركيز عليها دون سائر العناصر الأخرى كالتركيز على الأصوات أو المعنى أو نحو ذلك . وقد أدى هذا الإتجاه في معظم الأحوال إلى دراسة التركيب Syntax بمعزل عن المعنى، مع أن التركيب هو نتيجة التفاعل بينه وبين المعنى كما يقول « دوبوجراند » ص (٧) وهو التفاعل الذي يولد عدداً من الإحتمالات التي تجد طريقها إلى البيئة التركيبية .

ويلاحظ « دوبوجراند » أنه في إطار السيميلوجيا التقليدية فإن سائر العناصر التي تتعلق بجوانب التنظيم الشكلي قد درست تحت باب التركيب Syntax وأن المعاني درست تحت باب السيمانتيك Semantics بينما درس الاستعمال اللغوي تحت باب البراجماسية Pragmatics (ص ٨) ، إلا أنه في

ضوء التجزيئية المشار إليها آنفا ، فقد اعتبر التحويليون أن دراسة المعنى هى محاولة تفسير البنى التركيبية التى أنجزت فعلاً ، وقد أعتبرت المرحلة البراجماسية مجرد مرحلة إضافية . ويرى « دوبوجراند » أنه فى ضوء هذا الاتجاه فقد أهمل عنصر التفاعل Interaction بين هذه المستويات الثلاثة فى البناء اللغوى ، ذلك أن تفسير سائر العناصر قد تم من خلال تحليل التركيب اللغوى ، وفى حالة اتجاه المعانى التوليدية Generative Semantics فقد تم التفسير من زاوية المعنى . ويوجه « دوبوجراند » الأنظار فى ضوء ذلك التحليل إلى أن أى نموذج Model لغوى يصمم لدراسة اللغة يجب أن ينبنى على نظرية النظم Systems التى توضح الكيفية الشاملة التى يعمل بها كل نظام دون عزل لأي جانب من جوانبه بدون مبرر كاف لذلك . وذلك ما جعل « دوبوجراند » يتجه نحو دراسة التفاعل فى البيئة النصانية على عكس إتجاهات التحويليين الرياضية التى نظرت إلى كل عنصر من عناصر اللغة على أنة كائن مستقل بذاته عن بقية العناصر . وقد وضح « دوبوجراند » فى ضوء تصور الجديد أن دراسة النص اللغوى بصفته الوحدة القولية التى تخدم غرضاً إتصالياً ، يجب أن تركز على نوعين من أنواع الترابط النصانى .

أولا : الترابط النحوى Sequential Connectivcty

ثانيا : الترابط المعنوى Conceptual Connectivity .

كما تركز على العناصر التى تجعل التفاعل بين هذين النوعين من التفاعل ممكناً ، وهى العناصر التى يجملها « دوبوجراند » تحت مفهوم الاجراءات التخطيطية Mapping Procedures وهى الإجراءات التى تتولد عنها الظواهر الأسلوبية فى النص ، ذلك أن الأسلوب ما هو سوى الكيفية التى يتم بها تحويل الاستراتيجيات القولية إلى بنى نصانية ظاهرة . وهكذا يبدو أنه

على الرغم من وجود عدد من النظم فى داخل البنية النصانية لكل منها ضوابطه الخاصة،فإن بنائية النص إنما تعتمد على تنظيم هذه النظم من خلال عملية التفاعل التى أشرنا إليها ، والتى ينتج عنها النظام الجديد بوصفه خياراً إحتمالياً . وأما الضوابط Controls التى يعتمد عليها هذا النظام الجديد فتأتى من خارج النظم الداخلة فى تكوينه ، وهو الأمر الذى أهملته الألسنية التقليدية . ويخلص « دوبوجراند » من كل ذلك إلى أنه ينبغى أن ينظر إلى النصوص من خلال البنية الثلاثية التالية :

أولا : التركيب وهو الذى يتعلق بالترابط النحوى .

ثانيا : المعنى وهو الذى يتعلق بالترابط الفكروى .

ثالثا : البراجماتيك ، وهو الذى يتعلق بالخطط والأهداف والأفعال (ص ١٠) التى يسلكها النص من أجل تحقيق أهدافه . وعلى الرغم من أن كل عنصر من هذه العناصر يتقيد بضوابطه الخاصة ، فإن استمرارية التدفق فى البيئة النصانية إنما تنبع فى الأساس من توجيهات الضوابط النصانية أى من الغاية التى يريد أن يخدمها النص ، ويعنى ذلك بحسب مفهوم « دوبوجراند » أننا فى دراسة النصوص لا نكتفى فقط بوصف التراكيب اللغوية ، وإنما يجب أن نكون قادرين على تحليل العمليات التى يتم بموجبها تكوين النص وبناؤه فى تراكيب لغوية ظاهرة ، وعندئذ سيتضح لنا أن مجمل الدراسة اللغوية إنما تتركز فى الواقع حول مفهوم الترابط Connectivity .

علم النص وألسنية الجملة فى منظور « دوبوجراند » :

لحظ « دوبوجراند » أن سائر الدراسات اللغوية من العصور القديمة وإلى العصر الحاضر قد ركزت على دراسة الجملة دون أن تحدد هذا المصطلح تحديداً دقيقاً ، ذلك أن الجملة قد عنت عند بعض اللغويين تلك

الوحدة التى تحتوى على معنى كامل ، وعنت عند بعضهم وحدات من الكلام تليها سكتة ، كما عنت عند آخرين بنية شكلية تحتوى على مكونات شكلية (ص ١١) . ويلاحظ عند تحليل سكتات الكلام أن كثيراً من القطاعات اللغوية التى اعتبرت بأحد المعايير جملاً قد لا تصبح كذلك بمعايير أخرى .

ومهما يكن من أمر ، فقد أعتبرت الجملة دائماً هى الوحدة الأساسية للغة ، كما أعتبرت اللغة مجموعة من الجمل فى منظور النحو التحويلى . وقد ذهب «دوبوجراند » إلى أن الأسماء تحول بواسطة التحويليين لتصبح جملاً ، ذلك أن الجملة عندهم ليست مجرد شكل نحوى ، بل هى أيضا تقرير منطقى . وذلك ما يجعل الخصائص التى تحدثوا عنها صفات وخصائص للغات منطقية وليس للغات طبيعية (ص ١١) . وهكذا فقد إتجه « دوبوجراند » مباشرة إلى تحليل النصوص بصفتها تعبيراً عن اللغات الطبيعية التى تحتوى فى داخلها على مستويات مختلفة ، وقد تصاغ فى شكل جمل أو فى غير ذلك ، والمهم دائماً هو أن تحمل خصائص النصانية التى أجملها « دوبوجراند » فيما يلى (ص ١١) .

١ ـــ يعتبر النص نظاماً حقيقياً بسبب كونه وسيلة عملية للإتصال Actual System بينما تعتبر الجملة مجرد نظام عرفى إعتبارى Virtual system لأنها من الممكن أن تنشأ بغير غرض الإتصال . ويبدو فى ضوء هذا التحديد أنه بينما يكون النص خاضعاً للتحليل من جميع المكونات التى يقوم عليها مفهوم النصانية والتى سنشرحها فيما بعد ، فإن الجملة يمكن أن تحلل من زاوية واحدة وهى كونها تركيباً نحوياً مجرداً .

٢ ـــ يمكن عند تكوين النصوص تجاوز كثير من العقبات النحوية

والتركيبات غير الضرورية التى يمكن أن تستخلص من السياق دون حاجة إلى ذكرها فى النص . ويبدو فى ضوء ذلك أن النحو لا يعتبر قانوناً ينظم الكلام ، بل هو فى كثير من الأحيان يشكل عقبة يجب تجاوزها بكثير من الأساليب النصانية .

٣ — يمكن التفريق بين الجمل الصحيحة والجمل غير الصحيحة بواسطة القوانين التى يحددها النحو ، ولكن التفريق بين ما هو نص وما هو غير نص لا يخضع لمثل هذه الصرامة الميكانيكية ، ذلك أن الذى يحدد نصانية النص هو مبدأ القبول Acceptence الذى يلعب السياق والتدرج فيه دوراً حاسماً وكبيراً.ويمكننا أن نجد أمثلة لذلك فى كثير من الأنماط الأدبية التى تخالف القوانين النحوية بشكل صريح ، ومع ذلك تكون مقبولة لدى الجمهور (أدب اللامعقول) .

٤ — لابد للنص أن يتوافق مع الموقف ، ذلك أن الموقف هو الذى يحدد نوعية الاستراتيجيات الفعالة ، كما هو الذى يساعد على إنشاء التوقعات والمعرفة المطلوبة ، والتى يطلق عليها مفهوم السياق الذى لابد أن يكون موجوداً من أجل أن يخدم النص غرضه الإتصالى ، ويطلق على النص دائماً مصطلح النص المصاحب Cotext وذلك لكونه يتبع السياق دائماً .

٥ — ويبدو فى ضوء ما ذكر أن النص لا يمكن أن يفسر على أنه نتاج « للرموز » و « المورفيمات » لأنه فعل يحاول بواسطته منشىء النص أن يوجه متلقيه إلى كيفية تلقيه ، وليس هذا هو شأن الجمل المنعزلة التى لا تهدف إلى تغيير وضع معين أو توجيه المتلقى إلى شىء من هذا القبيل .

٦ — يعتبر النص تتابعاً لحالات مختلفة عاطفية واجتماعية وإقتصادية ونحو ذلك Progression of occurences وهو دون شك يخضع لبعض الضوابط

التى تجعل عملية التغيير والتحول فى داخله ممكنة ، ولكن هذه الضوابط لا تشبه قوانين النحو المجردة التى تنطبق على المكونات « السنكرونية » التى تمثلها الجمل المنعزلة والتى لا تنتظم فى داخل سياق معين .

٧ ـــ ويرى « دوبوجراند » أن الأعراف الإجتماعية تجد طريقها إلى التطبيق المباشر على النصوص أكثر من تطبيقها على الجمل،وينطبق ذلك أيضاً على النواحى السايكلوجية التى تعمل بطريقة خاصة فى برمجة اللغة وفهمها .

٨ ـــ ويذهب « دوبوجراند » إلى أنه بينما يحتاج مستخدم اللغة إلى معرفة القواعد العرفية من أجل تكوين الجمل ، فهو يحتاج إلى خبرة التناص Intertexuality من أجل إنشاء النصوص وفهمها ، خاصة فى المجالات التى تحتاج إلى خبرة خاصة مثل كتابة التقارير و « البروتوكولات » والتلخيصات ونحو ذلك .

٩ ـــ يتطلب علم النص صرف البحث عن إيجاد قوانين ثابتة لتكوين النصوص إلى مجموعة الاجراءات الواجبة لإنشاء النصوص فى بيئة اجتماعية تستند فى الأساس على ظروف الموقف . ويعنى ذلك أنه ليست هنالك قوانين صلدة لتكوين النصوص،وإنما هنالك عمليات تتناسب مع إستراتيجية التخطيط والسياق تساعد على إنشاء النصوص ، ذلك أن مهمة النص هى أن يخلق بيئة إتصالية وليس أن يبرز الكيفية التى تستخدم بها القواعد اللغوية كما هو الشأن فى اللغويات التى تستند على دراسة الجملة . ويعنى ذلك أن علم النص لا يستهدف وضع قوانين مجردة تولد بها النصوص كما تولد الجمل .

١٠ ـــ يلاحظ بحسب مفهوم « دوبوجراند » أن النجاح الذى حققته ألسنية الجملة قد إستند فى الأساس على استبعاد النماذج غير الملائمة ، بينما يعتمد نجاح علم النص على مجموعة واسعة من النصوص المنوعة التى تشمل

سائر ألوان التعبير فى مختلف القطاعات مثل الصحافة والإعلان ، والعلم والأدب ونحو ذلك .

١١ ـــ يستهدف علم النص دراسة مبدأ النصانية وليس إيجاد النحو الذى يفرق بين ما هو نص وما هو غير نص،ذلك أن ما هو غير نص هو الوحدة القولية التى تفشل فى أن تحقق غرضاً إتصالياً .

١٢ ـــ يرى « دوبوجراند » أنه فى ضوء المسلمات السابقة ينبغى أن ينظر إلى علم النص على أنه علم يحقق التعاون والتداخل بين عدد من العلوم الإجتماعية والسايكلوجية والحاسوبية ولا يمكن أن ينظر إليه من منظور الألسنية التقليدية الخالص .

وكما نرى فإنه على الرغم من أن علم النص كما بينه « دوبوجراند » ما يزال فى بداياته الأولى ، فإنه يمثل نقلة مهمة في الدراسات اللغوية المعاصرة ذلك أنه يضع حداً للغلو والإسراف الذى اتسمت به الألسنية الحديثة فى مراحلها الأولى ، وهو يبدو أكثر تواضعاً فى وصف منهجه ونتائجه لأنه يكتفى بذكر الاجراءات التى تتحقق بها «النصانية» دون أن يستهدف وضع قوانين صارمة Categorical تحكم عملية الإستخدام اللغوى ، وما دام الهدف هو تحقيق فكرة النصانية التى هى أداة الاتصال فى الواقع الحقيقي ، فيجب علينا أن نقف مع « دوبوجراند » مرة أخرى لنستجلى مفهوم النصانية Texuality بحسب تعريفه .

مفهوم النصانية عند « دوبوجراند :

يعتبر مفهوم « النصانية » أهم المقومات التى يقوم عليها علم النص ، بل هو المفهوم الذى يبرر أساساً وجود هذا العلم كعلم مستقل .

فما المقصود بـ «النصانية »؟ Texuality يرى « دوبوجراند » أن مفهوم النظام لا يقتصر فقط على المستويات المختلفة فى اللغة بصفة عامة ، بل على النصوص أيضاً بصفتها نظماً حقيقية Actual systems يتم إنشاؤهـا من خلال عمليات الإختيار والمفاضلة واتخاذ القرارات بحسب ما أوضحه « هارتمان ». وقد أوضحنا الفرق بين هذا النوع من النظم والنظم العرفية Virtual Systems مثل النحو التى لا يشترط أن تستخدم إستخداماً فعلياً . وعلى الرغم من وجود كثير من التيارات القرائية الحديثة التي تتعامل مع النص وكأنه وجود غير قائم فإن « دوبوجراند » يرى أن كثيراً من المشاكل التى تتعلق بالغموض وإحتمالات التفسير إنما تتحكم فيها العناصر العرفية الداخلة فى نظام النص. ويرى « دوبوجراند » أن محاولات « هاريس » والتحويليين فى إيجاد قواعد عرفية لإنشاء النصوص قد آلت جميعها إلى الفشل لأنها لم تستطع أن تضع معياراً ثابتاً للكيفية التى يتصرف بها الناس فى إنشاء النصوص ، ولأنها لم تستطع أن تحدد موقفاً واضحاً من النصوص غير النحوية ومن إختلاف الأساليب في داخل النصوص . لذلك فقد إقترح « دوبوجراند » بعض المبادىء العامة التى تصلح أساساً للنصانية دون أن تكتسب هذه المبادىء صفة القوانين الصارمة؛أى هى مجرد مؤشرات مهمة في إنشاء النصوص . وهذه المبادىء هى ما يلى :

أولاً : التناسق Cohesion والمقصود به الطريقة التى يتم بها ربط الأفكار فى بنية النص الظاهرة ، أو بصورة مبسطة يقصد به التشكيل النحوى للجمل والعبارات وما يتعلق بها من حذف وإضافة ونحو ذلك .

ثانيا : الترابط الفكروى Coherence والمقصود به الطريقة التى يتم بها ربط الأفكار فى داخل النص بحيث يمكن إستعادتها مرة أخرى . ويتطلب

ذلك وجود منطق للأفكار مبنى على الخبرة وما يتوقعه الناس من النصوص فى هذا المجال .

ثالثا : القصد Intentioinality . ويتضمن ذلك أن النص ليس بنية عشوائية وإنما هو عمل مقصود به أن يكون متناسقاً ومترابطاً لكى يحقق هدفاً معيناً ، وبمعنى آخر هو عمل مخطط Planned يستهدف به تحقيق غاية بعينها Goal . وبالطبع فقد لا يستطيع منشىء النص أن يفى بإلتزامات هذا العنصر النصانى ، ولكن ذلك لا يعنى إخفاق النص بصورة كاملة ، إذ يظل هنالك مدى لإحتمال الإخفاق Tolerence .

رابعا : الموقفانية Situationality ويعنى هذا العنصر ضرورة أن يكون النص موجهاً للتلاؤم مع موقف معين بغرض كشفه أو تغييره . وقد يكون الموقف مباشراً يمكن إدراكه من البيئة أو غير مباشر ، ويمكن إستنتاجه بواسطة التأمل . وهذا العنصر يفترض وجود إثنين يتعاملان مع النص ، أحدهما مرسل والثانى مستقبل .

خامساً : التناص Intertexuality ويرى « دوبوجراند » أن عنصر التناص هو أهم العناصر فى نظرية أنواع النصوص ذلك أن النصوص إنما تكتب بحسب رأيه فى إطار خبرة سابقة . وعلى الرغم من أن مفهوم التناص يثير كثيراً من الاشكالات لأن بعض المحدثين قد حرفوه عن معناه الصحيح ، فالواضح أن المقصود به ليس هو أن النصوص إنما تمثل إعادات لبعضها بعضاً،بل المقصود به هو أن النصوص السابقة تشكل خبرة يستند إليها في تكوين النصوص اللاحقة والكشف عنها .

سادسا : الإخبارية : Infomativity . ويرى « دوبوجراند » أن الإخبار يشكل عنصراً مهماً من عناصر النص ، وتختلف درجة الإخبار من نص إلى

آخر بحسب نوعه وغايته ، ولكن المؤكد هو أن كل نص يجب أن يشتمل على قدر من المعلومات الإخبارية .

سابعا : Acceptability ويقصد به مدى إستجابة المتلقى للنص وقبوله له . ولا شك أن هنالك مدى لإحتمال المتلقى من هذه الناحية .

وعلى الرغم من أهمية تلك العناصر ، فيرى « دوبوجراند » أن طريقة تصميم النص إنما تعتمد على ظروف الواقع ، والمهم دائماً هو أن يكون النص فعالاً ومؤثراً ومناسباً . وإذا تأملنا ما ذهبنا إليه سابقاً وجدنا أن علم النص يحاول أن يوجد نوعاً من التوازن بين العناصر النحوية والتقليدية فى اللغة والعناصر غير النحوية التى تدخل في إنتاج النصوص من حيث هى وحدات علامية إتصالية . وهى العناصر الذهنية Cognitive aspects والعناصر غير اللغوية Extra - Linguistics والتى أهملت اهمالاً تاماً فى مجال دراسات الجملة .

الفصـــل الـــرابع

نظرية أنواع النصوص

سوف نلاحظ بصورة عامة أن الأسس التى بنى عليها الدكتور باسل حاتم مقولاته هى نفس الأسس التى قال بها هاليدى . ومع ذلك فسوف نلاحظ تطوراً مهماً إنتهت إليه دراسات الدكتور حاتم،وهو أن بنية النص لا تكون محايدة وقائمة على أسس علاميه خالصة،وإنما تتأثر بنوعية النص فى الدرجة الأولى ، وذلك ما جعل الدكتور حاتم يذكر فى تلخيص دراسته بعنوان « نظم الخطاب فى الترجمة : نحو إعادة تعريف مفهوم القضية وجوابها من منظور نظرية أنواع النصوص » ما يلى :

« إن الهدف من كتابة هذا البحث هو إعادة تعريف مفهوم القضية وجوابها من خلال نموذج معيارى لكيفية إنتاج النص الخطابى الذى يتحدد بموجبه إطار النص النوعى الذى هو جماع المكونات الأساسية للسياق » .

ويعنى ذلك بإختصار أن البنى الداخلية للنصوص إنما تتأثر إلى حد كبير بكيفية تشكيل القضايا وجواباتها فى داخل النصوص ، وذلك ما يوجد التفاوت الأساسي بين أنواع النصوص المتباينة . ويلاحظ أن الدكتور حاتم يبدأ دراسته بعنوان : « تحليل الخطاب : محاولة فى تعريف الاختلافات النصانية،بالحديث عن الخطاب والنص»(ص ٢) بالتركيز على أن عملية إنتاج الخطاب إنما تتم فى إطار من التفاعل الذى هو نوع من التعاون بين مرسل النص ومستقبله . ويقوده ذلك إلى وضع تعريف للنص على النحو

التالى « النص هو تتابع من الجمل تؤطر مجموعة من النوايا الإتصاليــة بين طرفين لتحقيق غرض إبلاغى » (ص ٢) .

ويتجه الدكتور حاتم فى البداية إلى الأخذ بما إنتهى إليه « فان دايك » وذلك باعتباره « النصانية » تقوم على عمليتين من عمليات الإنتاج ، تتضمن الأولى تعليمات السياق الكبرى Macro - Contexual Instructions وهى التى يتحدد بموجبها الإطار العام للنص والذى يصطلح عليه الدكتور حاتم بمقولة الظرف السياق Contexual envelope.وتتضمن الثانية تعليمات السياق الصغرى Micro - Contexual Instructions (ص ٢) . وهى التى تحقق مكونات النص الداخلية مثل الجمل وكيفية تتابعها وفق الأسس التى يحددها الإطار العام للنص .

ويذهب الدكتور حاتم متأثراً بـ « هاليدى » إلى تحديد ثلاث طبقات رئسة تقوم عليها النصوص ، وهى الطبقة الإتصالية Communicative والطبقة البراجماسية Pragmatic Layer والطبقة العلامية Semiotic layer تتعاون جميعها من خلال تعليمات السياق الكبرى لتصبح حقيقة ملموسة من خلال تعليمات السياق الصغرى التى تعرف المعنى السياق للنص . ويرى الدكتور حاتم أنه بالإمكان وصف النص من الوجهة الاتصالية من زاوية المتحدث أو من زوايا المتغيرات الأخرى التى هى المجال Field والكيفية Mode ورسمية الخطاب أو عدم رسميته Tenor . وتتعلق الطبقة البراجماسية من وجهة نظره (ص ٥) بتحديد العلاقة بين الخطاب ومستخدميه ، وتتأثر هذه الطبقة بواقع العالم الذى نعيش فيه ، ذلك أن معرفة مستخدمى الخطاب بواقع العالم وما يريدونه من إستخدام الخطاب يقودهم إلى تقرير نوع الفعل الذى يضمنونه البنية التركيبية والمعنوية للخطاب . وأما الطبقة العلامية ، فتتعلق بالواقع والكيفية

التى يتفق عليها الناس فى ثقافة ما على استخدام نظام العلامات الذى يقود إلى التفاهم فيما بينهم . ويتضمن ذلك بالطبع الكيفية التى يقسم بها هذا النظام من خلال النحو والمعجم فى حالة اللغة ، وذلك من أجل تحقيق الغاية « البراجماسية » .

وينتهى الدكتور حاتم من كل ذلك إلى أن تعليمات السياق الكبرى M.C.I هى المرحلة الأولى فى بناء النصوص ، ويتكون هذا النوع من التعليمات من خلال الإنطباع العام أو المعرفة الشاملة بما يريد منتج النص أن ينتهى إليه . وعندئذ تظهر للمنهج ثلاث طبقات رئسة يتحقق بها إنتاج النص وهى التى أشرنا إليها سابقاً أى الطبقة الإتصالية والطبقة البراجماسية والطبقة العلامية . ويذهب الدكتور حاتم إلى أن الطبقة الإتصالية لا قيمة لها بدون طبقة علامية . ويبدو من ذلك أن أيا من الطبقات الثلاث لا يمكن أن تستغل بنفسها ، بما يجعل عملية الإتصال فى مجملها عملية اتصالية براجماسية علامية Semio - Pragma Communicative Interface (ص ٧) وذلك ما يجعل النص يستمر ويتطور سواء على مستوى السياق الأكبر أم على مستوى السياقات الصغرى فى داخله .

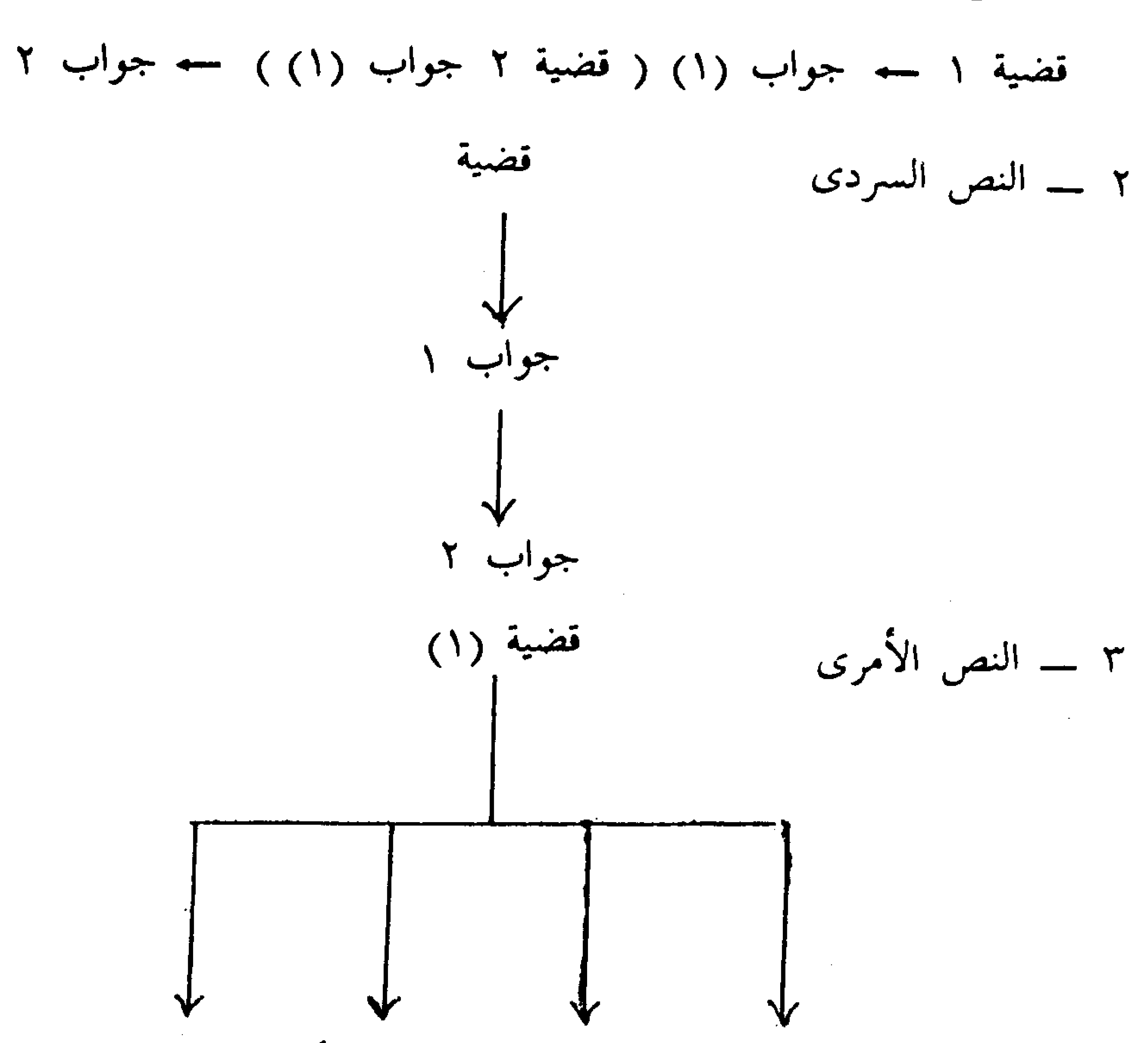
ويذهب الدكتور حاتم إلى أن هذه الطبقات الثلاث تنتج فى تفاعلها مع بعضها بعضاً ما يمكن الإشارة إليه بـ « الاطار النوعى للنص . Text - Typlogical focus . وهو القوة الأساسية فى السياق التى تنظم الطبقات الثلاثة التى أشرنا إليها سابقاً فى داخل البيئة « النصانية » . ويرى الدكتور حاتم أن الاطار النوعى للنص هو الذى ينظم الكيفية التى يسير عليها تتابع الجمل والأقسام فى داخل النص ، كما هو الذى يحدد النقطة التى يتحتم أن ينتهى النص عندها . ويذهب الدكتور حاتم إلى أن الإطار النوعى للنص يمكن أن يتشكل فى ثلاثة أنواع رئسة هى النوع السردى Expository والذى يمكن

تبينه فى الكتابات الوصفية والقصصية والفكرية بصفة عامة ، والنوع الجدلى Argumentative والـذى يمكـن أن يكـون ظاهـراً Overt كما هو الشأن فى إفتتاحيات الصحف،أو غير ظاهر ويحتاج إلى تساؤلات لايضاحه Covert مثل الدعاية والإعلان ونحو ذلك . والنوع الثالث هو الأمرى Instructional والـذى يخبر بكيفية الـتصرف فى المستقبـل (ص ٨) ولا يرى الدكتـور حاتم أن الموضوع الذى يتناوله النوع ذا علاقة بالنوع ، ذلك أن ما يتناولـه النـوع مثل الإعـلان هو ضرب من الخطاب الـذى يعبر عنـه فى أى نوع من الأنـواع النصانية السابقة ، ويبدو من ذلك أن الدكتور حاتم يميز تميزاً واضحاً بين النـوع Genre والخطاب Discourse ويرى أن التمييز بين النوع والخطـاب ضرورى لحل اشكالية ما يسمى بالنصوص المتداخلة Hybrid texts . وهـى الـنصوص التـى لا تعتمـد على إطار نوعى واحد ، كما هو الشأن فى الروايات حيث يوجد فى داخلها السرد والجدل والأمر . ويذهب الدكتـور حاتم فى ذلك إلى رأى لا نوافقه عليه وهو قوله بعدم وجود نصوص متداخلة لأن الـنص إنما يتقيد بالإطار النوعى الأساسي الـذى يخضع للسياق العام . ومتى خرج النص عن ذلك الإطار النوعى بدأ نص جديد ولكنه يوافق على وجود خطابات متداخلة Hybrid Discourse وكأن الدكتور حاتم يقول بذلك إن ما نعتبره نصاً واحداً يجمع أطراً نوعية كثيرة هو فى حقيقته مجموعة من النصوص التـى تشكـل خطابات مختلفة تتداخل مع بعضها بعضاً . ويستنـد إختلافنـا مع الدكتور حاتم فى هذه النقطة إلى أنه يخالف بذلك التعريف الأساسي الـذى وضعه للنص والـذى يقول بأن النص هو التتابع الجملى الـذى يحقق غرضاً إتصالياً . وإذا كانت الرواية لا تحقق الغـرض الإتصالى إلا بعـد الانتهاء من قراءتها كاملة ، ويعنى ذلك التعامل مع عدد من الأطر النوعية فى داخلها ، فإن ذلك يعنى أن النص هو الذى يكون متداخلاً وليس مجرد الخطاب ، ذلك

أن الفصل بين الخطـاب والـنص على هذا النحــو هو فصل لا مبرر له لأن الخطاب إنما هو فى حقيقته نص فى حالة الفعل .

ونخلص من كل ذلك إلى أن الغـــرض « البراجماسى » يتفاعـــل مع الغـرضين ، الإتصالى والعلامـى من أجـل أن يتحـدد نوع الـنص الـذى يأخــذ شكلا علاميا واضح المعالم هو بنية الـنص الظاهـرة ، ويعتمـد الدكتـور حاتم فى شرح بنية النص على نظريـة القضيـة Theme وجـوابها Rheme وهـى التـى قالت بها مدرسة براغ ، ذلك أن القضيـة هى المعلومـة المعطـاة وجـوابها هو المعلومـة

١ ـــ النص الجدلى .



الجديدة التى تصبح بدورها قضية معطاة تحتاج إلى معلومة جديدة تتكامل معها ، وهكذا يستمر النص وفق ما يسميه الدكتور حاتم بمفهوم الالتزام Committment ــ والاستجابة Response ذلك أن النص هو فى الحقيقة عملية تعاون بين مرسل ومستقبل .

ويظل النص مستمراً ما دام هذا التعاون قائماً حتى تصل وحدات النص إلى النقطة الأخيرة التى يسميها الدكتور حاتم نقطة النهاية Thresh-hold of Termination وهى النقطة التى يكون الكلام قبلها ناقصاً وبعدها حشواً Redundancy ولا يحتاج إلى إستجابة . وعلى الرغم من أن الدكتور حاتم يشرح عملية تكوين النص بطريقة رياضية،فنحن نحجم عن الخوض فى ذلك لأن الفكرة العامة فى كلامه قد وضحت . وإذا كان الاطار النوعى ، والتوزيع التيمى والإلتزام والاستجابة هى العناصر التى تلعب الدور الأساسي فى بنية النص ، فإن الدكتور حاتم يرى أن النظم Texture هو عنصر أساسي أيضاً فى تكوين الصور المختلفة Patterns التى يمكن أن يتشكل عليها النص ليصبح عملياً ، ذلك أن النص ليس مجرد تتابع لجمل وإنما هو تتابع للجمل على نحو خاص ، وكأن الدكتور حاتم يشير بذلك إلى نفس الأسس التى تخلق الترابط النحوى والترابط الفكرى التى أشار إليها « هاليدى » ورقية حسن من قبل والتى أصبحنا نعرفها فى مجال الدراسات النصانية بنظرية التناسق Cohesion . ويعتبر عنصر التناسق هو العنصر الأساسي الذى يفرق بين النص Text وغير النص Non - Text (ص ١٥) .

ويتأكد مما ذهبنا إليه سابقاً أن الدكتور حاتم قد تأثر إلى حد كبير بالجوانب النظمية التى ذهب إليها « هاليدى » . وعلى الرغم من أن الدكتور حاتم لم يركز على الجوانب الذهنية كما فعل « فان دايك » فلا شك أنه لم

يهمل الجوانب الذهنية إهمالاً كاملاً . وتعتبر الإضافة الحقيقية له هي تركيزه على نظرية أنواع النصوص وتأثير أطرها النوعية على كيفية بناء النصوص . ولكنه نظر نظرة ميكانيكية إلى التوزيع التيمي في داخل النصوص ، على الرغم من إهتمامه بجانب النظم Texture ، ذلك أن النصوص لا تؤسس على الجوانب الميكانيكية الخالصة ، إذ الأمر لا يتعلق بالقضايا المثارة وجواباتها أو بالالتزام والاستجابة فحسب ، لأن الإعتماد على هذه الجوانب وحدها يقلل من شأن النواحي الأسلوبية في النصوص والتي تحدث تغييرات جوهرية في تتابع القضايا وجواباتها في داخل النصوص . كذلك فإن القول بأن هنالك نقطة في داخل النص يعتبر الكلام قبلها ناقصاً وبعدها حشواً هو قول لا يمكن تطبيقه على سائر النصوص ، وخاصة النصوص الأدبية التي تعتمد أساساً على ما يسمى بالحشو الوظيفي ، ذلك أن الأدب هو في جوهره ضرب من الحشو المقبول . واللغة الأدبية موكولة بتأسيس عالمها الخاص ، ذلك بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقاً من عدم قبولنا لذلك التفريق التعسفي بين ما هو نص وما هو خطاب . وعلى الرغم من ذلك فنحن نعتبر كتابات الدكتور حاتم تتسم بالوضوح وهي على درجة كبيرة من الأهمية خاصة في المجالات التعليمية .

الفصـــل الخـــامس

نظرية الانزياحات

يتضح من مجمـل ما ذهبنـا إليـه سابقـاً أن التحـول من دراسات ألسنيـة الجملـة إلى دراسات ألسنيـة الـنص هو تحول وظيفـى فى الأساس . ذلك أنـه إذا كان الهدف من الـدراسات اللغويـة هو معرفـة الكيفيـــة التـــى تتم بها عمليـــة الإتصال ، فيـجب ألا يكـون مجال الـدراسات اللغويـة هو مجال النظـم العرفيـة الـذى تمثلـه ألسنيـة الجملـة التـى تحفـل بدراسة اللغـة خارج مجال الاتصال،وإنما يجب أن يكـون مجال الـدراسة اللغويـة الأساسى هو مجال النظـم الحقيقيـة التـــى تخدم أغـراض الإتصال فى الواقـع العـملى . ويؤكـــد هذا الإتجاه على مسألـــتين أساسيتين :

أولا : عدم التركيـز فى الـدراسات اللغويـة على الجمـل المنعزلـة لكـون ذلك يقيم تصوراً ناقصاً لحقيقة اللغة .

ثانيـا : عدم إهمال الجوانب الذهنيـة مثـل التـأطير Framing والتخطيـط Mapping والتحقيق Actualizing التى هى عناصر مهمة في إنتاج الـنص اللغـوى الذى هو أداة الإتصال بين الناس بصرف النظر عن كون النص كلمـة أو جملـة أو مجموعـة جمل . بالاضافـة إلى العنـاصر غير اللغويـة التـــى تشكـــل سيـــاق الموقف أو الإطار الخارجـى للـنص،والعنـاصر الأسلوبيـة التـى تلـعب دوراً كبيراً فى ترتـيب الأفكـار،بالإضافـة إلى العنـاصر اللغويـة وتوزيعهـا في إطـــار البيئـــة النصانية .

وإذا كانت نظرية الأنواع النصانية أو أنواع النصوص كما يشار إليها قد حاولت إلى حد كبير عن طريق نظرية التوزيع التيمى Thematic Progression المتطورة عن النظرية المعروفة بالإطار الوظيفى للجملة قد كشفت كثيراً من الجوانب التى توضح الكيفية التى تختلف بها النصوص عن بعضها بعضاً من حيث هى سردية أو جدلية أو أمرية ، فإن نظرية الانزياحات التى طورتها أخيراً فى جامعة « سالفورد » تبدو أكثر اقتصاداً وقدرة على التطويع الوظيفى من الدراسات التى سبقتها . فقد ذهبت في هذه النظرية إلى تقسيم النصوص إلى ثلاثة أنواع رئسة هى :

١ ــ النصوص الأدبية وهى التى تستخدم فيها اللغة كنظام ثانوى للاتصال Secondary Modelling system ويكون الإطار المرجعى فيها هو العالم الذى ينشئه النص ذاته .

٢ ــ النصوص غير الأدبية وهى التى تستخدم اللغة كنظام أولى Primary Modelling system حيث يكون الإطار المرجعى هو العالم الحقيقى .

٣ ــ النصوص المتداخلة وهى التى تمازج بين النوعين السابقين .

وقد ذهبت إلى أن النصوص الأدبية قد خضعت إلى ألوان مختلفة من التحليل والتفسير والنقد ، فقد خضعت للدراسات البنيوية التى أهملت النص من حيث هو بنية إتصالية ، كما خضعت للدراسات الذاتية Subjective Studies التى تعاملت مع النص من خارجه ، وخضعت أخيراً للتيارات « الهيرميوناطيقية » والقرائية التى إعتبرت النص وجوداً غير قائم وإنما هو عمل يتم اكماله بواسطة القارىء الذى يملك حرية التصرف الكاملة فيه . وقد ذهبت أيضاً إلى أن النصوص غير الأدبية والمتداخلة قد خضعت أيضاً إلى كثير من التحليلات الميكانيكية التى أهملت الجوانب الأسلوبية والاتصالية فى

داخل البيئة النصانية ، وفي إطار هذا الواقع طورت نظرية الانزياحات التى أعتبرها قد وضعت اللبنات الأولى لفهم النصوص فهما متكاملاً من داخل علم النص ، وذلك ما سأتجه إلى توضيحه من خلال الفقرات التالية .

لقد ذهبت أولاً إلى أن التفريق بين مفهوم النص Text والخطاب Discourse هو تفريق غير ضرورى فى هذه المرحلة من تطور علم النص . ذلك أن الاختلافات المطروحة بينهما هى اختلافات إستوجبها عدم الدقة فى إستخدام المصطلح لكون الخطاب لا يشكل مجموعة من النصوص كما ذهب إلى ذلك كل من « دويوجراند » وحاتم ، وإنما هو النص فى حالة الإستخدام الفعلى أى هو النص خلال عملية الإتصال ذاتها . ويشبه هذا التوضيح ما إتجه إليه « رونالد بارت » فى التفريق بين العمل Work والنص Text غير أن الفرق بين ما ذهب إليه رونالدبارت وما أتجه إليه كبير جداً ، ذلك أن « رونالد بارت » يعتقد أن القارىء هو الذى يوجد النص من خلال قراءته للعمل ، وهو يمتلك حرية مطلقة فى ذلك . وأخالفه فى هذا الإتجاه لأن النص المتحول إلى خطاب يظل محكوماً بالضوابط التى تبينها نظرية الإنزياحات التالى شرحها .

لقد اتفقت مع علماء النص المحدثين وعلى وجه التحديد « دوبوجراند » « وهاليدى » على أن النص هو وحدة لغوية إتصالية ، وأن غرضه هو تحقيق المعنى الشامل الذى يستوجبه السياق العام من خلال السياقات الصغرى أى مكونات النص الجزئية،وأن عملية الإتصال تتم بين مرسل ومستقبل فى ضوء استراتيجيات ذهنية ولغوية وغير لغوية . ولكن الحقيقة الماثلة في نهاية الأمر هى أن النص يتشكل سواء فى الكتابة أو الكلام من زاوية المرسل فى بنية سطحية ظاهرة Surface Structure وهى البنية التى

يراهـا أو يسمعهـا المستقبـل ويحاول من جانبـه أن يدرك معـانيها ، ومـا لم يكـن كلا المرسل والمستقبـل مدركين لكيفيـة تشكيــل البنيــة الظاهـــرة للـــنص ، فسيكون من الصعوبة بمكان تشكيل النص أو فهم معناه سواء كان الـنص أدبيـاً أم غير أدبي . ولقـد إتجهت هنـا إلى التفريـق بين أنـواع المعــانى المشتملـــة فى داخل النصوص والتى تتداخل مع بعضها بعضاً لتكـون البنيـة الشاملـة للـنص . وقـد وضحت لى هذه المعـانى فى ثلاثـة أنماط هى التــى أشارت إليها البلاغـــة العربية القديمة بصفتها علماً للإتصال ، وأيضاً البلاغة اليونانية .

أولا : المعـانى المنطقيــة أو المعــانى الالــزاميـــة Obligatory Meaning وهى التى تشكل دوائر التحكم فى المعلومـات التـى ينقلهـا الـنص وتساعـد على تطور معنى النص وانتقالـه من مرحلـة « معلوماتيـة » إلى مرحلـة أخـرى وهـى التى عنى بها علم المعانى فى البلاغية العربية القديمة .

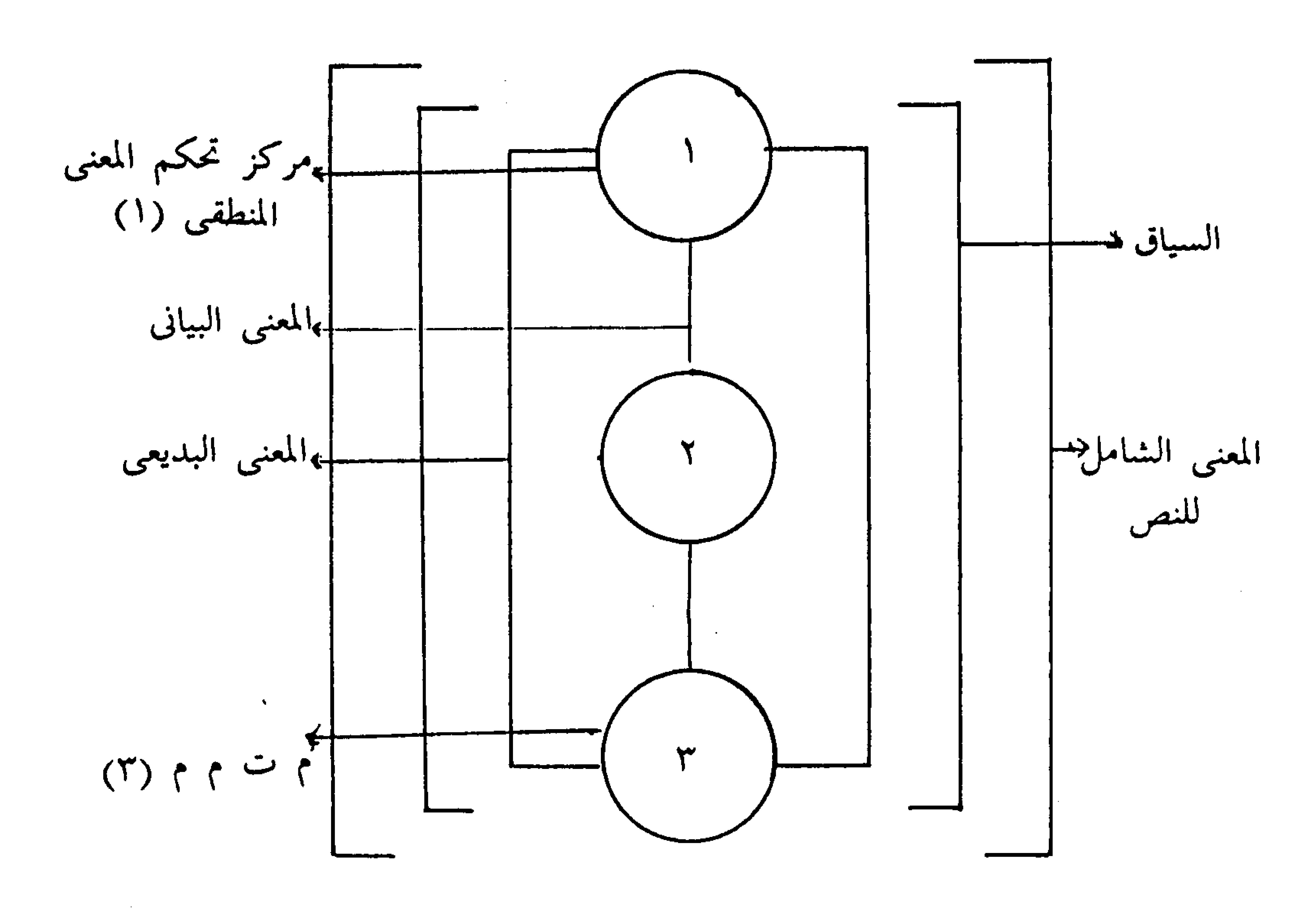
ثانيـا : المعـانى البيانيـة أو المعـانى الممتـــدة Extended Meaning وهـــى التـى تساعـد على توضيـح المعـانى المنطقيـة وبلـورتها وهـى التـــى يشملهـــا فى البلاغة العربية « علم البيان » .

ثالثـا : المعـانى البديعيـة أو الكماليـة Accessory Meaning وهـى التـــى يشملها فى البلاغة العربية علم البديع .

ويلاحـظ أن كثافـة المعـــانى المنطقيـــة تكــون فى أدنى مستويـــاتها فى الـنصوص الأدبيـة Minimal بينما ترتفـع كثافـــة المعـــانى البيانيـــة (الممتـــدة) والبديعيـة Maximal وينعـكس الـوضع فى الـنصوص غير الأدبيـة حيث تكـــون كثافـة المعـانى المنطقيـة فى قمتها Maximal وتـتضاءل إلى جانبها المعـانى البيانيـــة والمعانى البديعية.ويختلف الـوضع بالنسبـة إلى الـنصوص المتداخلـة والتـى تسمـى Hybrid Texts أو Fuzzy text حيث يعتمـد توزيـع المعـــانى على واقـــع الـــنص

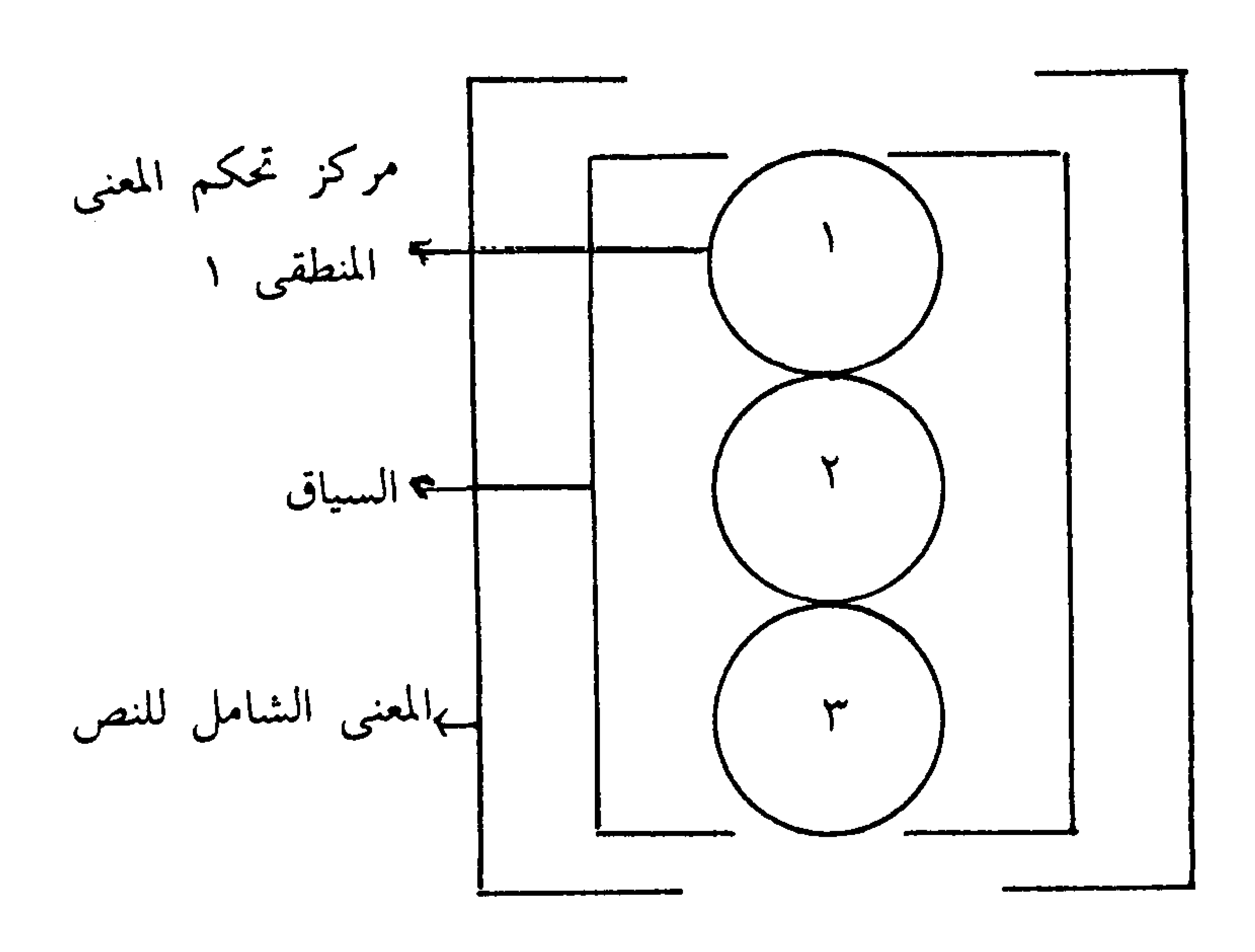
وظروفه . وتستطيع الرسوم البيانية التالية أن توضح الإختلافات الرئسة بين النصوص الأدبية وغير الأدبية والمتداخلة .

١ ـــ النص الأدبى :



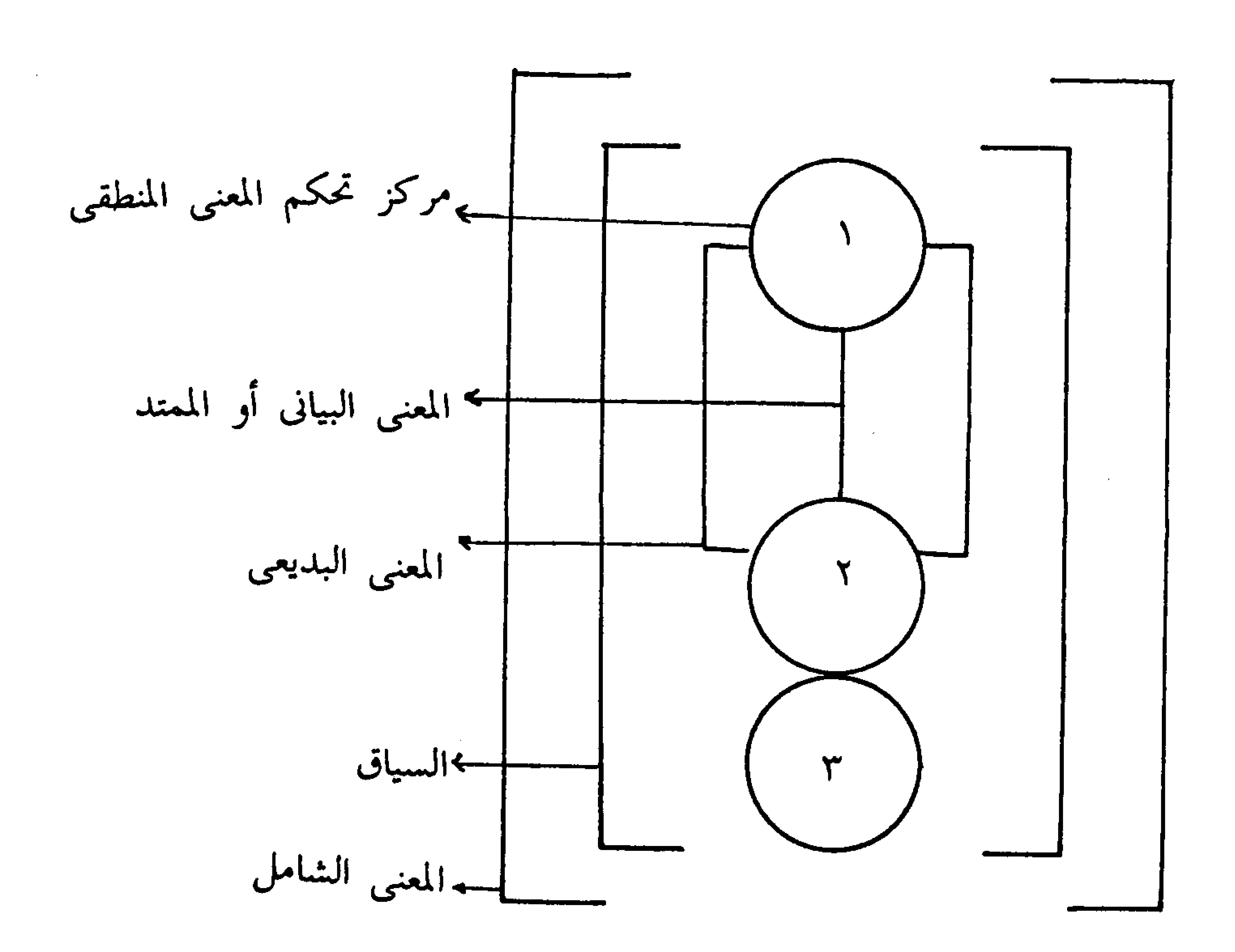
فإذا تأملنا الرسم السابق وجدنا أن هنالك مسافات تفصل بين مراكز التحكم فى المعنى المنطقى . وتلك المسافات هى التى تشكل منطقة المعانى البيانية.ويغلف مراكز التحكم والمعانى البيانية المعانى البديعية التى يلفها جميعاً السياق العام الذى يفضى إلى المعنى الشامل للنص .

٢ ــ النص غير الأدبى :



وإذا نظرنا إلى الرسم البيانى السابق وجدنا أن مراكز التحكم فى المعانى المنطقية تتلاحق مع بعضها بعضاً ، ولا تفسح مجالاً للمعانى البيانية وتعيش المعانى فى داخل السياق الذى يحدده نوع النص وموضوعه ويفضى ذلك إلى المعنى الشامل .

٣ ـ النص المتداخل :



وإذا تأملنا الرسم البيانى أعلاه وجدنا أن النص المتداخل يحمل فى بعض جوانبه معانى بيانية وبديعية محدودة تفضى فى سياق النص إلى المعنى الشامل .

ويتضح لنا وفق التقسيم الذى أبناه أن عملية بناء النص فى إطار مفهوم النصانية الشامل هى حركة إنتقال أو انزياح مستمرة بين المعانى المنطقية والمعانى البيانية والمعانى البديعية فى إطار سياق النص من أجل تحقيق المعنى الشامل .

وتشكل هذه الانزياحات الضوابط التى يعتمد عليها منتج النص أو مستقبله من أجل تحقيق المعنى الشامل . ويمكننا فى ضوء هذا أن نستفيد فائدة كبرى من نظرية الانزياحات هذه فى المجالات التطبيقية التى تتعلق بالنقد الأدبى أو الترجمة لأنه بإمتلاكنا هذه الوسيلة العلمية نستطيع تحليل النصوص إلى مكوناتها الأساسية وبالتالى يمكننا أن نجرى فيها ما شئنا من الدراسة ، وسوف نؤجل الحديث فى أهمية هذه النظرية بالنسبة لنظرية الترجمة حتى يحين موضع ذلك فى هذا البحث .

البـــاب الثـــانى

الفصـــل الأول

نظرية الترجمة

يتحتم علينا أن ندرك حقيقة أولى عن هذا العالم الـذى نعـيش فيـه ، فهـو عالم تسكنـه شعـوب وأمم متباينـة فى ثقافـاتها ولغـــاتها وقـــدراتها الإقتصاديـــة والإجتماعيـة . وعلى الرغـم من وجـود كثير من الأيديلوجيـات المثاليـــة التـــى تدعـو إلى توحيـد العـالم في إطـار ايديلوجـي متشابـه ، فقـــد أدركت كثير من الأمم فشل هذا المنحى يسبب الإختلافـــات العرقيـــة والتاريخيـــة والجغرافيـــة والاقتصادية . وعلى الرغم من ثورة الإتصالات الحديثة فيبدو أن الأمـل الوحيـد المفتـوح أمـام العـالم هو التعـاون مع إحتفـاظ كل ثقافـة بمقومـاتها الأساسيـــة . ويعـتبر مجال التـرجمة واحـداً من المجالات المهمـة التـى يمكـــن أن يتحقـــق من خلالها مثل هذا التعـاون . وذلك ما جعـل كثيراً من الجامعـات والمعاهـد الفنيـة تهتم بموضوع التـرجمة وتـــؤسس البرامج الخاصة التـــى تقـــوم بدراستها . وعلى الرغـم من أن التـرجمة هى من أقـدم النشاطـات الإنسانيـة ، فقـــد إتضح أن ما أسهـم به الفكـر الإنسانى فى المجال النظرى لفـلسفتها ضئيـل جداً ولا يمكـن أن يشكـل أساساً متكامـلاً يعتمـد عليـه الـدارسون كما هو الشأن مع سائـر العلـوم

الأخرى ، وذلك ما جعل الجامعات الحديثة لا تهتم بتدريس الترجمة فحسب ، وإنما تحاول فى ذات الوقت تأسيس نظرية تصلح أساساً يعتمد عليه فى تدريس أصولها .

لقد طرأت منذ البداية مشكلة أساسية فى تدريس برامج الترجمة في الجامعات الغربية : وتدور هذه المشكلة حول سؤال أساسي هو :

هل تشكل الجامعات المكان المناسب لتدريس برامج الترجمة ؟ وكان السؤال منطقياً لأن معظم الجامعات التقليدية تأسست على أنها مؤسسات هدفها المعرفة من حيث هى معرفة ، وليس غرضها تخريج الفنيين والمهنيين إلا فى المجالات العليا التى ترتبط بتطوير المعرفة ذاتها مثل مجالات الطب والهندسة والقانون . ونظراً لأن مجال الترجمة هو فى الأساس مجال تطبيقى ، فقد رأى الكثيرون تلاؤمه مع المعاهد الفنية والكليات المهنية وليس الجامعات . ولقد طرأ تطور مهم في العالم الغربى فيما يختص بهذه الدراسات وهو ظهور الجامعات التطبيقية التى تعنى بوضع الخبرات النظرية موضع التطبيق بالإضافة إلى تطوير أسسها النظرية . وهكذا وجدت دراسات الترجمة دفعة قوية من أجل إحتوائها فى داخل المؤسسات الجامعية .. ويلاحظ أن دراسات الترجمة فى هذه المرحلة لم تعد تقتصر على تدريب المترجمين فقط بل تجاوزت ذلك إلى كثير من المسائل النظرية التى تتعلق ببرمجة النصوص وإعادة برمجتها وكيفية إيجاد المعادل الموضوعى Equivalence فى اللغات الأخرى.وقد ساعد العمل فى هذا المجال على تطوير كثير من النظريات المتعلقة بعلم الحاسوب والذكاء الاصطناعى .

ويبدو جلياً أن التطور الحديث فى دراسات الترجمة قد تأثر إلى حد كبير بالتطور الذى لحق الدراسات الألسنية Linguistics وما وراء الألسنية

Extra - Linguistics بالإضافة إلى التطور فى مجال الدراسات البراجماسبة Pragmatics ودراسات الذكاء الإصطناعى . وقد أثر التطور فى هذه المجالات فى تكوين النماذج المختلفة Models التى تقوم عليها نظرية الترجمة المعاصرة وذلك على النحو الذى سنفصله فيما بعد .

ومهما يكن من أمر ، فيلاحظ أن دراساتِ الترجمة تواجه فى الوقت الحاضر ثلاثة تحديات أساسية .

أولا : تحدى هوية الدراسة Challenge of Identity :

وهو التحدى الناجم من كون الدراسات التقليدية جعلت دراسات الترجمة فرعاً من الدراسات الألسنية على إعتبار أن موضوع الترجمة هو نقل مادة لغوية من لغة ما إلى لغة أخرى ، وقد زاد من تفاقم هذه المسألة تنظيم دراسات الترجمة فى إطار الأقسام الألسنية التى قللت من شأن العلوم والإتجاهات الأخرى المتصلة بموضوع الترجمة . وعلى الرغم من إدراك الألسنيين لأهمية الثقافة والسايكلوجيا والبويطيقيا والإجتماع فى دراسات الترجمة ، فقد قللوا من شأن هذه العلوم بجعلها فرعاً من الدراسات الألسنية ، وذلك ما حاول علم النص أن يصلحه بجعل العنصر الألسنى أحد المكونات الداخلة فى عملية الإتصال ، ولا ينفرد وحده بمركز الثقل على الرغم من أهميته فى منظور النظام العلامى .

ثانياً : تحدى النظرية والتطبيق Theory and practice :

لقد أشرنا إلى هذا التحدى فيما قبل ، وذكرنا أن الجامعات التطبيقية حاولت أن توجد صيغة للتوازن بين الجانب النظرى والتطبيقى فى برامج الترجمة لاسيما وأن كثيراً من هذه الجامعات قد أدركت أن التطور النظرى لا

يعنى بالضرورة تطوراً فى المجالات التطبيقية أو العكس ، وذلك لأهمية العنصر « البيداجوجى » فى برامج الترجمة .

ثالثاً : التحدى البيداجوجى Pedagogical Challenge :

ويتعلق هذا التحدى بالكيفية التى تدرس بها برامج الترجمة فى الجامعات ، ونستطيع أن نلاحظ هنا إختلافات كثيرة فى تحقيق هذه الغاية ، إذ بينما يعتبر «نايف خرما» أن برنامج الترجمة هو جزء من برنامج اللغة العام فإن « جيدون تورى » يعتبر تدريس الترجمة من الأمور المستحيلة بالنسبة للأفراد الذين لا تكون اللغة الثانية هى لغة أم أو بمثابة لغة أم عندهم . ومهما يكن من أمر فنلاحظ بصفة عامة أن الاتجاه السائد فى برامج الترجمة هو تدريس هذه البرامج من خلال نماذج واضحة المعالم ، وتعتمد النماذج في الغالب على وجهة النظر السائدة . وسوف نعرض فيما يلى إلى مجموعة من النماذج التى تعرض لها « سايمون تشاو » فى دراسته المهمة بعنوان « كيف نترجم هذه وردة حمراء ؟ » وذلك قبل محاولة البحث في مفهوم الترجمة كأساس نستخدمه فى توضيح موقفنا من نظريتها .

سايمون تشاو ونماذج الترجمة Simon chou

يقسم سايمون تشاو نماذج الترجمة إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية (ص ١٢٤).

١ ـــ الاتجاه النحوى Grammatical Model

٢ ـــ الاتجاه الثقافى Cultural Model

٣ ـــ الاتجاه الإستنتاجى Interpretive Model

وعلى الرغم من تحديده لهذه الاتجاهات التى تقوم عليها نماذج

واضحة ، فهو يرى أن الطرق التى يمكن أن تنفذ من خلالها هذه الاتجاهات غير قابلة للحصر . ويمكننا أن نتتبع فيما يلى الكيفية التى نظر من خلالها « تشاو » لهذه الاتجاهات الثلاثة فى ضوء النماذج التالية :

أولا النموذج النحوى :

يرى « تشاو » أن النموذج النحوى يعتمد على منظور ألسنى مصغر لعملية الترجمة Micro ويعنى بذلك أن المترجم حسب هذا النموذج لا ينظر إلى أى عنصر غير المكونات اللغوية الخالصة . وتبدو عملية الترجمة وفق هذا المنظور على أنها نقل للمواقع النحوية من لغة إلى أخرى.ولقد حدد « سايمون تشاو » طريقتين وفق هذا النموذج ، الطريقة الأولى هى الطريقة النحوية التقليدية والطريقة الثانية هى طريقة النحو الشكلى Formal Grammar

أ ـ الطريقة النحوية التقليدية Traditional Grammer .

وهى طريقة معيارية يحاول من خلالها المترجم أن يوجد فى اللغة الهدف مقابلاً نحوياً ومعجمياً لما هو فى لغة المصدر ، وذلك من خلال مفهوم عام للنحو . وتهتم هذه الطريقة بالمعانى النحوية مثل الفاعلية والمفعولية والظرفية ونحو ذلك . ويرى تشاو أن هذه هى الطريقة المفضلة لدى الطلاب الذين لا يملكون قدرات كافية فى لغة الهدف إذ أنهم يعتمدون على طريقة المبادلات الرياضية .

ب ـ الطريقة الألسنية الشكلية Formal Linguistic Model :

يرى « تشاو » أن الفرق بين الطريقة الأولى والطريقة الثانية هو فرق بين الذاتية Subjectivity والموضوعية Objectivity ، ذلك أنه بينا تعتمد الطريقة الأولى على المعانى ، فإن الطريقة الثانية تعتمد على تحليل المستويات

الفونولوجية والمورفولوجية والتركيبية للغة ص ١٢٦ أى أن المترجم حسب الطريقة الثانية يصل إلى النتائج بنفسه ، بينما هو فى الطريقة الأولى يعتمد على الوصف السابق للغة . ويعتبر تشاو الطريقتين تتسمان بالجمود . ويلاحظ تشاو أن الداعين للطريقة الألسنية يعتبرون الترجمة فرعاً من اللغويات التطبيقية والاختلافية Contrastive وغالبا ما يذكر طلاب هذه الطريقة بالفروق بين اللغة المصدر واللغة الهدف ويعتبر تشاو « كاتفورد » Catford المثل الحقيقى لهذا الاتجاه فى نظرية الترجمة .

ثانيا : النموذج الثقافى The Cultural Model:

يرى « تشاو » أنه بينما يركز النموذج النحوى على المقابلات النحوية بين اللغة المصدر واللغة الهدف ، فإن النموذج الثقافى يركز على جانب المعانى ، أى أن دور المترجم هو القيام بتوضيح نظرة أصحاب اللغة المصدر إلى أصحاب اللغة الهدف . ويميز « تشاو » فى هذا النموذج طريقتين ، الطريقة الأولى هى الطريقة الإثنوغرافية المعنوية والطريقة الثانية هى طريقة المعادل الديناميكى .

أ ــ الطريقة الإثنوغرافية المعنوية The Ethnographic Semantic Model :

تعتبر هذه الطريقة المعنى ظاهرة ثقافية « إثنوغرافية ».ويركز المدرس فى هذه الطريقة على تعريف طلابه بالأسس الثقافية للغة المصدر ، وذلك حتى يمكنهم من نقل ما يقابلها إلى لغة الهدف التى هى لغتهم الأصلية (ص ١٢٨) وتركز هذه الطريقة على الفجوات الثقافية بين اللغات ، وتحاول ملء هذه الفجوات بطريقة معقولة . ويبدو واضحاً أن هذه الطريقة تضحى بالجوانب اللغوية المشار إليها فى الطريقة النحوية من أجل تحقيق أغراض ثقافية خالصة .

ب ـــ طريقة المعادل الديناميكى The Dynamic Equivalent Method :

وتختلف هذه الطريقة التى يدعو إليها «نايدا» عن الطريقة السابقة بحسب مفهوم « تشاو » فى أنها تعترف بأن الأشياء التى تقال فى لغة ما يمكن قولها فى لغة أخرى ، إلا أن هذه الطريقة تواجه مشكلة حين يكون الشكل أساساً لا يمكن الإستغناء عنه كما هو الشأن فى لغة القرآن الكريم . وكما يرى« تشاو » فإن هدف الطريقة لا يقتصر على المقارنات « الاثنوغرافية » بين لغتين ، بل تحقيق نفس الأثر فى اللغة الهدف Response وقد إستخدمت هذه الطريقة فى ترجمات الإنجيل التى لم تحفل بالدقة النصانية ، وإنما ركزت على أن تحدث الترجمة نفس الأثر كما هو الشأن فى اللغة العبرية مع التضحية بالجانب اللغوى الخالص (ص ١٢٨) . ويعنى ذلك أن المترجم يحتاج إلى إتباع إستراتيجيات مختلفة من أجل تحقيق المعادل الموضوعى للنص المترجم فى اللغة الهدف . ويتركز التدريس بحسب هذه الطريقة على الجوانب الثقافية مع الإهتمام بكيفية تحديد الإستراتيجيات المختلفة التى يتبعها المترجم من أجل تحقيق المعادل الموضوعى .

ثالثاً : النموذج الاستنتاجى Interpretive Model :

يرى « تشاو » أنه منذ بداية السبعينات أخذت نظريات جديدة فى الظهور لا تعتبر الترجمة عملاً بين لغات أو بين ثقافات وإنما تعتبرها نشاطاً نصانياً خالصاً . وقد تأثر هذا الاتجاه بالأفكار التى طورت فى مجال « البويطيقيا » Poetics وعلم النص Text - linguistics وقد ميز تشاو طريقتين فى داخل هذا النموذج .

أ ـــ طريقة تحليل النصوص Text analysis Method .

وتركز هذه الطريقة على قراءة سياق العمل Context من خلال النص المصاحب Cotext على نفس الأسس التى شرحناها في الباب الأول . ويعنى ذلك أن المترجم سوف يركز على الموقف الإتصالى بأسره ، وبالتالى فسوف يركز على تحليل عناصره . وكما يقول « تشاو » يصبح تحليل النص خاضعاً لكل الإمكانيات المشروعة مثل إستخدام النحو المقارن والثقافة المقارنة وعلم الإجتماع والأسلوبية والنقد الأدبى وهلمجرا . ويبدو واضحاً أن طريقة تحليل النصوص تحاول أن توجد مصالحة أو توازناً بين سائر الاتجاهات المستخدمة فى مجال الترجمة . ولكن هذه الطريقة لا تستطيع أن تحل الإشكالية التى يخلقها مبدأ الاستنتاج خاصة فى ترجمة النصوص الأدبية التى قد يختلف المترجمون حول قيمتها البراجماسية إختلافاً كبيراً . ومع ذلك فيجب ألا نقلل من شأن هذه الطريقة التى حاولت بأسلوب علمى أن تنظر إلى النص على أنه أداة إتصالية وأنه مكون من طبقات عديدة يتحتم على المترجم أن يكتشفها قبل أن يباشر عملية الترجمة . وإذا كان من شيء يؤخذ على هذه الطريقة فهو إتساع المجال فى داخلها حول تحليل معنى النصوص لعدم وجود الضوابط الدقيقة التى تحكم العمل . وذلك ما يجعل نظرية الانزياحات التى سأقوم بشرح أهميتها فى مجال الترجمة أكثر دقة فى التحكم فى عمل المترجم . وينتهى « تشاو » إلى أن تدريس هذه الطريقة يعتمد على تطوير المهارات اللغوية والأسلوبية الشاملة مع معرفة أنواع النصوص المختلفة وكيفية كتابتها . وهو يرى أن عدم شيوع هذه الطريقة يرجع إلى عدم أخذها فرصة كافية .

ب ـــ الطريقة الهيرميوناطيقية :

يذهب تشاو إلى أن هذه الطريقة لا تعتمد على أية نظرية لغوية واضحة ، وذلك لكونها تقوم على أسس فلسفية ظاهراتية . فهى تعتمد إعتماداً كلياً على شخصية المترجم ورؤيته الوجودية للنص . ويعنى ذلك أن المترجم يمتلك حرية كاملة فى تعديل لغة النص . ذلك أنه لا يبحث عن معنى خبىء فى داخل النص وإنما يحاول أن ينشىء علاقة حوارية بينه وبين النص تساعده على أن يكتب نصاً جديداً فى اللغة الهدف مستنداً على النص الموجود فى لغة المصدر.وينتفى فى هذه الطريقة مبدأ الموضوعية لأن المترجم يتدخل بأفاقه الخاصة على النص (ص ١٣١) . ويبدو واضحاً أن تدريب المترجمين وفق هذه الطريقة يعتمد فى الأساس على النقد الأدبى وكيفية كتابة النصوص . ويرى تشاو أن هذه الطريقة تفتقر إلى الأسس النظامية كما قد تكون مملة بالنسبة للطلاب ذوى الميول العملية أو الذين يفتقرون إلى الخيال والخبرات الأدبية والنقدية .

خلاصة :

ونخلص مما تقدم إلى أنه ليس في إمكاننا أن نحدد طريقة واحدة للترجمة ، وذلك بسبب إختلاف النظم اللغوية والثقافية وإختلاف الغايات التى يرمى إليها المترجمون ، ولكن ذلك لا يعنى أننا لا نستطيع أن نضع ضوابط معقولة لعملية الترجمة ، ذلك أن المترجم يعمل فى ضوء حدود معينة ، فإذا تجاوز هذه الحدود خرج من مجال الترجمة الحقيقية إلى مجالات أخرى . ويتضح هذا الأمر على نحو خاص فى ترجمات الكتاب المقدس التى تتجاوز أغراض الترجمة الفنية إلى الأغراض الدينية الخالصة . ويحتم ذلك أن نبدأ

فى دراسة الأسس التى تقوم عليها نظرية الترجمة وذلك من أجل إكتشاف مواطن الخلل والقصور فى تلك الأسس حتى نتمكن من إصلاحها ووضع الضوابط التى تجعل من الترجمة نشاطاً علمياً يخضع إلى أسس موضوعية ونظرية واضحة . وسوف نقوم بشىء من هذه الدراسة فى فصلنا القادم .

الفصـــــل الثـــاني

لابـد لنـا أن نفـرق بين نوعين من أنـواع التـرجمة ، يختص النـوع الأول بالمواد اللغويـة غير النصانيـة وهـى التـى لا تخدم غرضاً إتصاليـاً مبـاشراً ، وإنما قد تستخـدم فى غرض إتصالى فى المستقبــل مثــل ترجمة القوامــــيس أو المواد التى لا تتخـذ شكـل نص ويشار إليها بمصطلح غير نص Non - Text . ويختص النوع الثانى بالترجمة النصانيـة وهـى التـى تخدم غرضاً إتصاليـاً مبـاشراً . ونظـراً لأن النـوع الأول يحتـاج إلى طراز معين ، وخـاص من المتـخصصين فسوف لا نهتم به فى هذه الـدراسة ، وسنوجـه تركيزنـا إلى التـرجمة النصانيـة وهـى التـى تخدم غرضاً إتصاليـاً مبـاشراً . وستكـون دراسة الجانب النظـــرى فى هذا النمط من خلال عدد من الاتجاهـــات التـــى سوف نبلورهـــا من خلال ما يلى من حديث .

أولا : سوزان ماك جوير ودراسات فى الترجمة :

تفرق « سوزان ماك جوير » بين التـرجمة من حيث هى عمليـة Process ومـن حيث هى ناتـج Product ، وقـد إنتهت إلى رأى هو مصدر خلاف عنـد منظـرى التـرجمة ، وهـو قولها : على الرغـم من أن الألسنيـــة تأتى فى مركـــز نظريـــة التـــرجمة ، فيتــحتم النظــر إلى التـــرجمة على أنها مجال من مجالات الدراسة العلاميـة Semiotics (ص ١٤٣) لكـون الهدف الـذى تتمركـز حولـه هو نقـل المعنـى من نظـام علامـى لغـوى معين إلى نظـام علامـى آخـر وهـو ما

يستدعي مراعاة أمور أخرى خارج النظام اللغوى يشار إليها فى الدراسات العلامية بمصطلح Extra Linguistics أى خارج الألسنية .

ويتفق موقف « ماكجوير » فى هذا الأمر مع موقف « إدوارد سابير » إذ هى ترى أنه لا توجد لغتان فى العالم تعكسان حقيقة إجتماعية واحدة ، وذلك بسبب إختلاف المنظومات الثقافية فى العالم .

ويبدو واضحاً أن سوزان ماك جوير تتفق مع « رومان جاكبسون » فى التفريق بين ثلاثة أنواع من الترجمة وهى :

١ ــ الترجمة داخل اللغة Intra - Lingual Translation والتى تعتبر نوعاً من التفسير للنص بعلامات من لغة النص الأصلية .

٢ ــ الترجمة من لغة إلى أخرى Inter - Lingual Translation وهى التى تتعلق بترجمة العلامات اللغوية في لغة ما بعلامات لغوية فى لغة أخرى . ويشار إليها فى العادة بالترجمة الحقيقية .

٣ ــ الترجمة العلامية Inter - Semiotic Translation وهى التى يتم فيها نقل معنى النص من نظام علامى معين إلى نظام علامى آخر ومثالها تحويل رواية أدبية إلى عمل سينمائى .

ويبدو واضحاً أن « سوزان ماك جوير » لاتؤمن بالمفهوم السائد لنظرية التعادل Equivalence والتى تشكل أساساً مهماً فى نظرية الترجمة ، وذلك لإعتقادها بعدم امكان التماثل المطلق فى مجال الترجمة .وعلى الرغم من أنها لا تنقد مفهوم « التعادل » بصورة واضحة أو كما بينه « رومان جاكبسون » فهى تومىء إلى موقفها بطريقة غير مباشرة من خلال قولها بعدم إمكان ترجمة النصوص الأدبية لعدم القدرة على تحقيق التماثل Sameness

وهو أمر تفرضه فى نظرها الإختلافات الثقافية بين النظم العلامية . وتركز ماك جوير على الأختلاف بين جاكبسون و « مونين » Mounin المنظر الفرنسى الذى يرى أن الترجمة هى سلسلة من العمليات تؤدى إلى ناتج ذى أهمية Signification أو إلى وظيفة ما فى إطار ثقافة من الثقافات . وليس من الضرورى أن يكون هذا الناتج متماثلاً بصورة كاملة مع مافى الثقافة الأخرى . ويبدو من ذلك أن ما تقبله « سوزان ماك جوير » هو صورة معدلة لمفهوم التعادل وهى الصورة الوظيفية .

وعلى الرغم من أن « سوزان ماك جوير » لا تقف طويلاً من أجل حل هذه الإشكالية المعقدة فى مجال الترجمة ، فقدأنتهت بطريقة إجمالية إلى أن الترجمة هى نشاط يستهدف حل شفرة لغوية Decoding وإستبدالها بشفرة لغوية أخرى . Coding وهى تتفق فى ذلك مع « نايدا » الذى يرى أن الترجمة هى عملية تحويل نص من لغة المصدر Source Language إلى لغة الهدفTarget Language وذلك من خلال عمليات التحليل Analysis والتحويل Transfer وإعادة الصياغة Restructuring وقد بنى « نايدا » نظريته على مفهوم المعادل الديناميكى Dynamic Equivalence ، ويختلف هذا المفهوم عن مفهومى كل من « رومان جاكبسون » المسمى بالإحلال اللغوى Transposition و « لوسكاواس » المسمى بالتطوير العلامى Semiotic Transformation (ص ١٩) . وتذهب « سوزان ماكجوير » إلى أنه يتحتم على المترجم أن يتنقل بين عدد من الاحتمالات قبل أن يستقر على المعنى المراد ، لا سيما حين يتناول ترجمة المجازات والنكات اللغوية مثل هذه العبارة .

The Drunken Priest has been communing too often with the holy spirit.

ذلك أن التركيز فى هذا النص على كلمة خمر Spirit وليس على الروح القدس .

وتحاول « سوزان » ماكجوير » فى جانب آخر من دراستها تناول أنواع الترجمة من منظور « بوبوفيك » Popovic وترى فى هذا الجانب أنه يمكن أن ينظر إلى موضوع التعادل Equivalence من أربع زوايا أخرى هى :

١ — الزاوية اللغوية الخالصة حيث تكون الترجمة كلمة فى مقابل أخرى .

٢ — زاوية التعادل الرأسى . Paradigmatic حيث تعطى الأولوية للبدائل التى تملأ الخانات الرأسية فى النص .

٣ — زاوية التعادل الاسلوبى حيث يكون التركيز على الصيغة الأسلوبية والتعبيرية للنص .

٤ — زاوية التعادل النصانى حيث يكون التركيز على شكل النص أكثر من أى عنصر آخر . وترى « ماك جوير » أن تحقيق ذلك فى مجال الترجمة الفعلية هو أمر صعب المنال بسبب وجود العناصر غير اللغوية التى لابد من أخذها فى الاعتبار .

وتتناول « سوزان » ماك جوير » أيضاً التفريق الذى أقامه « البرخت نيوبرت » Albrecht Newbert فى دراسته حول الترجمة كعملية وكناتج (ص ٢٥) فقد ذهب « نيوبرت » إلى القول بأن عدم القدرة على تحديد المكونات التامة للترجمة الكاملة يرجع فى أساسه إلى عدم القدرة على تحديد العلاقة فى هذا المجال بين « المعادل الديناميكى » و « غير الديناميكى » Static وتتفق « سوزان ماك جوبر» فى ذلك مع «رايموند فون دن» Rymond

Von den الـذى يقـول إن مفهـوم التعـادل فى التـرجمة هو فى حد ذاتـه مشكلـة كبرى وذلك بسبب ايحاءاتـه الرياضيـة . وتذكـر فى هذا المجال مفهومى « نايـدا » المعـادل الشكلى Formal Equivalence حيث يكـون التركيـز على شكل الرسالة، والمعادل الديناميكى حيث يكـون التركيـز على أثـر الرسالـة عنـد متلقيها . وتقول فى ذلك إن مفهوم التعادل الذى إكـتسب شهـرة كبيرة يقودنـا إلى كثير من الافتـراضات كما قد يؤدى إلى كثير من الإختلافـات فى وجهـات النظر .

وتتنبـه « سوزان ماك جوبـر » إلى ذلك التفريـق المهـم الـذى أقامـه « بوبوفيك » بين العنـاصر الثابتـة فى التـرجمة Invarient والعنـاصر المتحولـة Varient وتمثل العناصر الثابتة تلك التى لا تتأثـر بكثرة التـرجمات إذ تظـل ثابتـة رغـم الإختلافـات فى إتجاهـات المتـرجمين ، وهـى العنـاصر التـى يمكـن التدليـل عليها من خلال « السيمانتيك التجريبـى » بينما تمثـل العنـاصر غير الثابتـة تلك التـى تخضع للإجتهادات فى داخـل النصوص المتـرجمة (ص ٧) . ولا شك أن هذا التـقسم ذو أهميـة كبيرة . وكان يجب تطويـره لما يحمله من قيمـة فى تطوير النواحى البيداجوجية لبرامج الترجمة .

وتلاحـظ « سوزان » ماكجويـر » أيضاً أن « نيوبـرت » يحدد مفهـوم التعادل بأنه فصيلة علامية Semiotic Category ذات ثلاثة وجـوه . الوجـه الأول سيمانتيكى أى معنـوى والوجـه الثـانى تركيبـى Syntactical بينما الوجـه الثـالث براجمـاسى Pragmatic . وكمـا ذهب « بيـرس » Pierce فـإن الوجـه السيمانتيكـى هو الـذى يعـدل الوجـهين الآخريـن ويكـتسب بالتـالى أسبقيـة عليهمـا . وتـذهب « ماكجوير » إلى أن قضيـة التعـادل فى التـرجمة تتابـع فى الـوقت الحاضر من منظوريـن ، المنظـور الأول يركـز على النواحـى المعنويـة

السياقية بينما يركز المنظور الثاني على الجوانب النصانية كما هو الشأن في إتجاهات تحليل الخطاب Discourse Analysis والإتجاهات الأدبية التي أفرزتها مدرسة براغ الشكلانية . غير أنها تؤكد على أن مشكلة التعادل في الترجمة لا تقتصر على جانب التماثل الذي لا يمكن تحقيقه ، ويحتم ذلك أن ينظر إليها من تلك الزوايا العريضة التي حددها كل من « بوبوفيك » الذي ذهب إلى أن التعادل هو نوع من الديالكتيك » بين علامية لغة المصدر وعلامية لغة الهدف .

ويفتح هذا حسب رأى « سوزان ماك جوير » المجال لبحث أمور أخرى في مجال الترجمة تتعلق بالفاقد Loss والمكتسب Gain بالاضافة إلى قضية الترجمة غير الممكنة Untranslatability وترى ماكجوير أن الألسنية ونظرية الترجمة تساعدان المترجمين على ايجاد الحلول المناسبة للقضايا التي تواجههم ولكنهما تحددان معايير صارمة Norms لحل تلك المشكلات . ويعني ذلك من ناحية أخرى أن « سوزان ماكجوير » لا تؤمن بنظرية الترجمة كعلم مستقل وإنما تؤمن بها كمؤشرات تهدى إلى السير في الطريق ولا تضمن تحقيق الهدف . وهي بالتالي لا تفصل بين الأسس الموضوعية التي تحقق علمية الترجمة وتلك الأسس الإبداعية التي لابد من توافرها لكي تتم العملية بطريقة مقبولة ، ذلك أن الترجمة بحسب رأيها هي ممازجة بين النظرية Theory والممارسة Practice ولا يمكن فصل العنصرين عن بعضهما بعضاً . « وترى سوزان ماكجوير » أن الحل لهذه الإشكالية يكمن في مفهوم « التناص » Inter- texuality لإعتقادها أن النص المترجم يحوى شيئاً من النص الأصلي كما يضيف إليه،وهذا ما يؤكد من وجهة نظرها أن النصوص تولد بعضها بعضا .

ثانيا : الزمان والمكان فى عملية الترجمة : مارلين قادس روز :

يبدو واضحاً أن اهتمام « مارلين قادس روز » فى دراستها قد تركز على الترجمة الأدبية . وذلك ما جعلها تركز على عناصر الزمان والمكان وأهميتها فى عملية الترجمة . فقد ذهبت إلى أن الترجمة وخاصة الأدبية ترتبط إرتباطاً وثيقاً بظروف الزمان والمكان .

تقول : (ص ١) :

« نعلم حق العلم أننا نترجم إستناداً إلى نص موجود أصلاً فى لغة المصدروأن ترجمتنا له من ناحية ثانية تأخذ شكلا متدرجاً ومن ناحية ثالثة فإننا نضفى إهتماماً كبيراً على زمن النص ، ذلك أن زمن النص فى لغة المصدر وزمن الترجمة يشكلان الأساس المهم الذى يعتمد عليه المترجم والذى يجب أن يأخذه النقد بعين الإعتبار » .

وترى « مارلين روز » أنه بصرف النظر عن أية علاقة بين النص فى لغة المصدر والنص فى لغة الهدف ، فيجب ألا نهمل العلاقات الزمانية والمكانية التى تجعل النص مقبولاً فى لغة الهدف . وترى كذلك أن الترجمة السيئة هى تلك التى تعتمد على ترجمة الكلمات دون إدراك للمعنى الكلى للنص .

وتذهب «مارلين روز» إلى أنه على الرغم من أن المترجم يعمل عادة فى ضوء مايتراءى له صحيحاً فإن هنالك مجموعة من الضوابط لابد أن يتبعها المترجم من أجل نجاح ترجمته وهى :

أولا : التحليل الأولى للنص موضوع الترجمة .

ثانيا : التحليل الشامل للموضوع والأسلوب .

ثالثا : أقلمة النص الملاءمة لغة الهدف

رابعا : إعادة إستراتيجية صياغة النص

خامساً : تنفيذ الترجمة .

سادساً : مراجعة تحليل الترجمة التى أنجزت .

وعلى الرغم من فائدة هذه الخطوات فى النواحى العملية والبيداجوجية للترجمة ، فليس فى وسعنا أن نستجلى بصورة دقيقة نوع العلاقة التى ترمى إليها مارلين بين النص فى لغة المصدر والنص في لغة الهدف ، إلا أنه من الممكن أن نستجلى أنها تتجه إلى الجانب الوظيفى فى الترجمة دون إهتمام بدقتها من ناحية اللغة وغيرها من العناصر التى تخضع للتعبير بسبب ظروف الزمان والمكان .

ثالثاً : كاتفورد ومفهوم الترجمة Catford

يذهب كاتفورد إلى أن نظرية الترجمة هى فرع من الألسنية المقارنة Comparative Linguistics (ص ٢٠) . ويعرف كاتفورد الترجمة على النحو التالى :

« الترجمة هى إبدال مادة نصانية فى لغة ما بمادة نصانية فى لغة أخرى » .

ويتضمن مفهوم التعادل Equivalence فى نظر كاتفورد ثلاثة مصطلحات فرعية ، هى المدى Extent ويحدد ما إذا كان المطلوب هو تحقيق الترجمة بصورة كاملة أم جزئية ، والمستوى Level ـــ والرتبة Rank .

وبصرف النظر عما يعنيه « كاتفورد » بتلك المستويات الثلاثة فمن الواضح أن إتجاهه لغوى خالص . أى هو يعتبر الترجمة عملية نقل مستويات نحوية أو خطية من لغة إلى أخرى . ولذلك فهو يضحى

بجانب المعانى التى تشكل أساساً مهما فى النظريات الثقافية للترجمة . وعلى الرغم من أنه يتعرض لكثير من المصطلحات المهمة فى نظرية الترجمة ، فيلاحظ أن إنحصاره فى النموذج اللغوى يفسد كثيراً من المصطلحات التى يستخدمها مثل مصطلح الترجمة الحرة Free Translation ، الذى يعنى عنده عدم التقيد الحرف ، ومصطلح « كَلمة فى مقابل كلمة Word For Word الذى يعنى عنده ترجمة الرتب ، ومصطلح الترجمة الحرفية Literal Translation الذى يقع فى منزلة بين المنزلتين .

ويلاحظ أن « كاتفورد » تعرض إلى مفهوم الانزياحات Shifts ولكن نظراً لأنه كان محصوراً فى نموذجه اللغوى الخالص والذى يهمل الجوانب المعنوية « السيمانتيكية » والجوانب البراجماسية فهو لم يستطع أن يستفيد من هذا المفهوم فائدة قصوى .

رابعا : نيومارك ومفهوم الترجمة الاتصالية والمعنوية Newmark

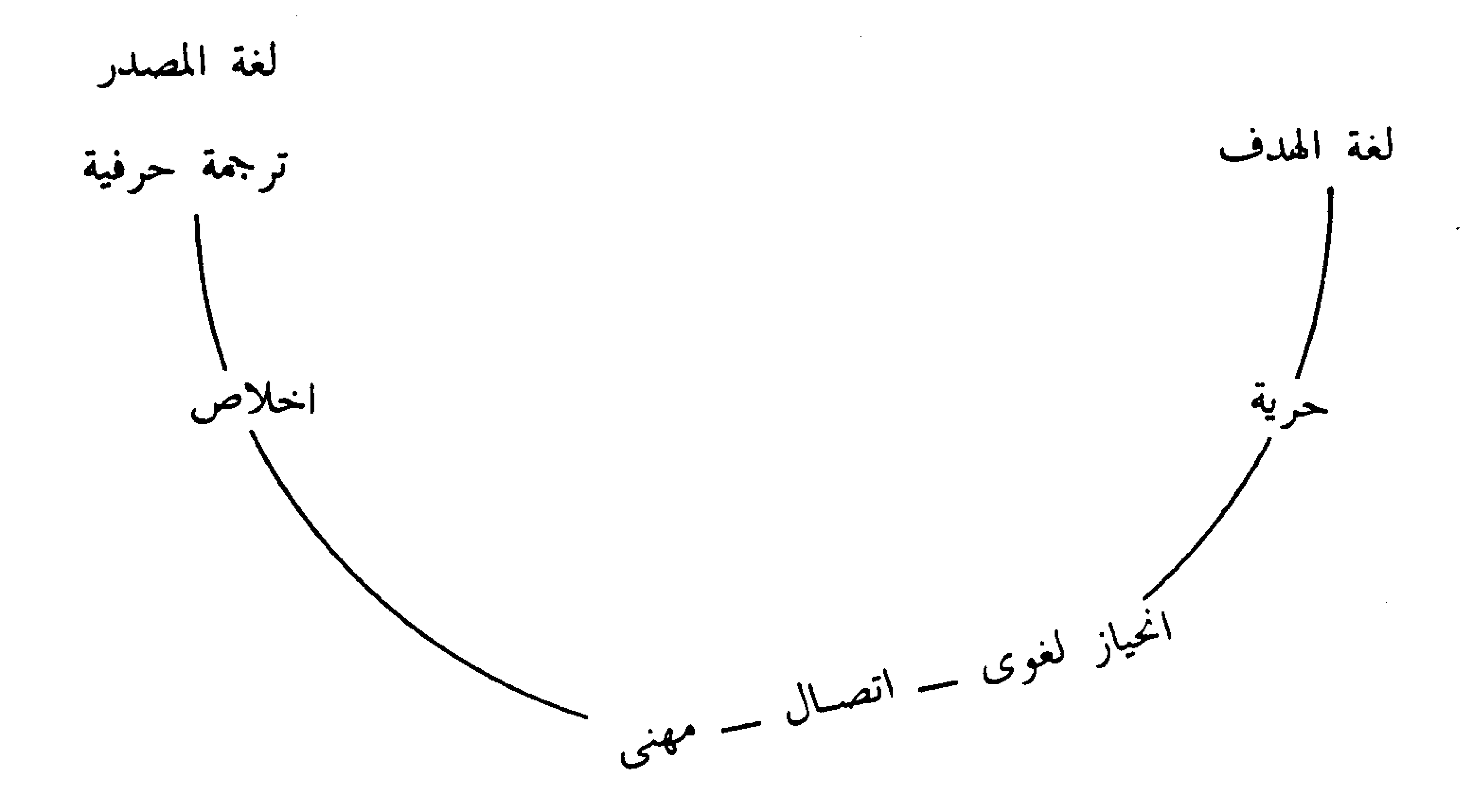
يقول « نيومارك ،» لقد ظلت الترجمة قبل ظهور الألسنية الحديثة وعلى وجه التحديد فى الفترة التى إمتدت من « سيسرو » Cicero إلى « فرديناند دى سوسير » فى العصر الحديث تتراوح بين مفهومين ، الأول هو مفهوم الحرية Free Translation والثاني هو مفهوم الإلتزام الحرفى بالنص المترجم Literal translation . وقد ينظر إليها أيضاً فى إطار مفهوم الجمال والإخلاص Faithfulness إلا أن الإتجاه الحديث قد بدأ يركز على أمرين مهمين ، وهما الإنحياز إلى المؤلف Author والانحياز إلى القارىء Reader . أى الإنحياز إلى لغة المصدر والإنحياز إلى لغة الهدف .

ويذهب « نيومارك » إلى أن الجهود قد تركزت على محاربة الترجمة الحرفية التى أثقلت كاهل النصوص الأدبية باتجاهاتها الأكاديمية والفليولوجية . وقد ظهر إتجاه علمى خلال القرن التاسع عشر يدعو إلى إخضاع بعض النصوص إلى الترجمة الدقيقة مع الترخص فى بعض النصوص الأخرى . وقد حدث التحول الشامل من وجهة نظره بظهور الألسنية الحديثة .

يقول نيومارك : (ص ٣٨) .

« منذ ظهور الألسنية الحديثة فقد تحول التركيز الذى دعمه منظرو الإتصال والمترجمون غير الأدبيين إلى القارىء»وذلك هو الإتجاه الذى سار عليه « نايدا » و « فيرث » ومدرسة « لايبزيج » .

وقد ذهب « نيومارك » إلى أن الأفكار التى نادى بها فاليرى و « نابكوف » فيما يختص بالترجمة يمكن أن تنطبق فقط على الأعمال التى تقوم على ثقافة أدبية عالية . ويؤكد ذلك تغليب نظريات التعادل على النظريات القديمة التى تركز على العناصر الشكلية فى الأعمال الأدبية . ويرى « نيومارك » مع ذلك أن الإنتصار الوقتى لنظريات « التعادل » سيظل واهياً لكون الخلاف بين الإنحياز إلى لغة المصدر ولغة الهدف سيطغى على سائر القضايا فى نظرية الترجمة . ويرى « نيومارك » فى ضوء ذلك أن حل هذه المشكلة يكمن في إستبدال الإنحياز إلى الترجمة الحرفية وما يتطلبه من إخلاص إلى لغة المصدر ، بالإنحياز إلى الترجمة الاتصالية التى تميل بحرية إلى النظام اللغوى فى لغة الهدف وذلك من أجل تحقيق أغراض الإتصال :



ويذهب «نيومارك» إلى أن الترجمة الإتصالية تحدث فى قرائها أثراً يعادل ذلك الأثر الذى يحدثه النص الأصلى في لغة المصدر،ذلك أنها تحاول من خلال ملاحظة السياق الذى يدور عليه المعنى الأصلى أن توجد نصاً مقارباً من الناحية المعنوية والتركيبية فى لغة الهدف .

ويرى « نيومارك » (ص ٤٠) أن التطابق بين القيمة الإتصالية والمعنوية فى لغتى المصدر والهدف يكون كبيراً حين يكون النص عاما ولا يرتبط بقيم زمانية أو ثقافية محددة مثل النصوص التى تتعلق بالديانات الكبرى

والفلسفة والفن والعلوم والتى يفترض أن يكون جمهور المصدر والهدف متساويين فى الاهتمام بها .

ويبدو خلافاً لـ « بيرس » Pierce « و موريس » Morris الذين عرفا البراجماسية على أنها ذلك الفرع من المعرفة الذى يتعلق بدراسة العلامة Sign ومستخدميها أى المرسل والمستقبل ، فإن « نيومارك » يتجه نحو إعتبار الترجمة الاتصالية Communicative Translation تختص بالمستقبل وحده Reccptor ويشكل ذلك خطأ أساسياً لأن الترجمة الصحيحة هى التى تقيم علاقة متوازنة بين المرسل والمستقبل . ويخطىء « نيومارك » حين يظن أن مفهوم « البراجماسية » يفتقر إلى الدعائم التقنية والعملية فى الترجمة الأدبية ، ذلك أن الترجمة الأدبية تتعامل مع اللغة كنظام ثانوى للنمذجه Secondary Modelling System . حيث تكون هنالك مجالات واسعة لتفسير النص وإعطائه المعانى التى تخدم الأغراض النفعية للمترجم مع مراعاة الضوابط والأصول التى سوف نركز عليها فيما بعد . وعلى الرغم من أن العنصر البراجماسى هو العنصر الأساسى الذى لا يمكن تأخيره من ناحية شكلية فهو دون شك يؤثر تأثيراً كبيراً على إستراتيجية الترجمة والنظرية التى تحكمها .

وعلى الرغم من عدم دقة المصطلحات التى يستخدمها « نيومارك » خاصة حين يحاول التفريق بصورة دقيقة بين الترجمة المعنوية التى تخلص للنص الأصلى والترجمة الإتصالية التى تحدث أثراً مماثلاً لما أحدثه النص الأصلى فى لغة الهدف ، فهو يرى كلا المفهومين يخضعان لظروف الزمان والمكان . ذلك أن الزمان والمكان يشكلان شرطين أساسيين لكل ترجمة إتصالية أو معنوية من وجهة نظره .

ويبدو من وجهة نظرنا أن المشكلة الأساسية عند « نيومارك » هى

عدم وضوح ودقة المصطلحات التى يستخدمها ، وذلك ما يخلق كثيراً من الحيرة عنده إذ يجد الانسان صعوبة فى بعض الأحيان في إدراك ما يعنيه بالترجمة المعنوية والترجمة الإتصالية على نحو دقيق .

خامسا : نايدا ونظرية الترجمة :

يعتبر « نايدا » الذى اكتسب خبرته فى مجال ترجمة الكتاب المقدس من الشخصيات المهمة فى تطوير نظرية المعادل الديناميكى فى الترجمة Dynamic Equivalence فهو يقول فى بداية فصله بعنوان نحو مفهوم جديد للترجمة (ص ١) .

« لم يحدث فى التاريخ من قبل أن انشغل عدد من المترجمين بالترجمة الدينية والعلمانية كما هو الشأن الآن ، ذلك أن أكثر من مئة ألف شخص يمارسون هذا النشاط ، ومن بين هؤلاء فإن حوالى ثلاثة آلاف يمارسون ترجمة الكتاب المقدس إلى ثمان مئة لغة من لغات العالم تمثل ثمانين فى المئة من سكان العالم ».

وعلى الرغم من ذلك فهو يرى أن الفكر النظرى فى مجال الترجمة ما يزال متخلفاً عن المهارات الفعلية فى هذا المجال . ويرى أن الترجمة الدينية هى أيضاً متخلفة عن الترجمة العلمانية،واستشهد فى ذلك بقول أحد المختصين فى صناعة الطيران الذى قال بأنهم لا يعتمدون على المبادىء المستخدمة فى مجال ترجمة الكتاب المقدس ، ذلك أن الترجمة فى مجال صناعة الطيران هى مسألة حياةأوموت (ص ١) وتتطلب درجة عالية من الذكاء والدقة الفعلية .

ويوضح « نايدا » أن الإتجاه القديم فى الترجمة قد ظل يركز على شكل الرسالة أكثر من مضمونها ، ولذلك فقد أهتم المترجمون بالنواحى

الأسلوبية التى تختص بالأوزان ، والمساواة ، والتركيبات النحوية غير المألوفة ونحو ذلك ، ولكن الاهتمام فى الوقت الحاضر من وجهة نظره انتقل من الشكل إلى أثر الرسالة فى لغة الإستقبال أو الهدف . ويرى « نايدا » أن كفاءة الترجمة فى هذا المجال تقاس بمقارنة أثرها في لغة الهدف بأثرها فى لغة المصدر . ويعنى ذلك أنه بدلاً من أن نجيب على السؤال التقليدى هل هذه ترجمة صحيحة ؟ يجب أن نجيب على سؤال آخر وهو لمن توجه هذه الترجمة ؟ ويرى « نايدا » أن جوهر الاجابة على هذا السؤال ليس هو فقط أن نتأكد من أن الإنسان العادى سوف يفهم الترجمة موضوع السؤال بل أن نتأكد من أنه لن يسيء فهم تلك الترجمة . ويشير ذلك إلى أنه ليست هنالك ترجمة واحدة صحيحة ، وإنما هنالك مجموعة من الخيارات في الترجمة يمكن أن تكون كلها صحيحة . ويعتمد ذلك على المستوى الثقافي والإجتماعي لمستخدمى الترجمة .

ويذهب « نايدا » إلى أن فهم الترجمة يتطلب اكتشاف وإبعاد نوعين من التعبيرات من الترجمة (ص ٢) .

أولا : تلك التعبيرات التى لا يمكن فهمها .

ثانيا : تلك التعبيرات الثقيلة من النواحى النحوية والمعجمية التى تثبط عزم القارىء من محاولة فهم الترجمة ، وينتهى « نايدا » إلى قانون عام يحكم الترجمة المقبولة ، وهو ألا تكون هذه الترجمة صعبة الفهم على الغالبية العظمى من الجمهور أو أن تكون مضللة وملاى بالحيل الأسلوبية التى لا يستسيغها الجمهور .

ويذهب « نايدا » إلى أن معظم الصعوبات فى ترجمات الكتاب

المقدس تنشأ فى الأساس من المفهوم الخاطىء للغتى المصدر والهدف ،ويتطلب ذلك أن يغير المترجمون مواقفهم من اللغتين المذكورتين فلا يخضعون الخضوع التام لواحدة منهما دون الأخرى . ويرى « نايدا » أن تحقيق هذا الهدف يتطلب عدة أمور : (ص ٣) .

أولا : الإعتراف بأن كل لغة من اللغات لها عبقريتها الخاصة،وذلك فيما يختص بطرق ترتيب الكلمات وربط الجمل واستخدام ألوان معينة من المحسنات والمعجم الذى يتناسب مع أفهام المتحدثين بتلك اللغة . ويتطلب ذلك إحترام لغة الهدف وما فيها من غنى لغوى ، وذلك هدف يتجاهله كثير من المترجمين الذين يضعون فى بعض الأحيان لغة لا تتناسب مع لغة الهدف وتعوق عملية التوصيل . وقد ساق « نايدا » لذلك مثال بعض الإرساليين محاولة إدخال المبنى للمجهول فى بعض لغات أمريكا اللاتينية التى لا تستخدم هذا الأسلوب .

ثانيا : الإعتراف بأن ما يمكن أن يقال في لغة ما يمكن أن يقال في لغة أخرى ، إلا إذا كان الشكل غاية فى حد ذاته كما هو الشأن مع القرآن الكريم الذى يمكن ترجمة معانيه فحسب . ويرى « نايدا » أن مفهوم المعادل الممكن أو الفعلى هو أكثر المفهومات التى يدور حولها النقاش فى مجال الترجمة : ويسوق لذلك فقرة وردت فى الكتاب المقدس فيها عبارة « أبيض كالثلج » فقد ذهب « نايدا » إلى أن مثل هذه العبارة تثير أشكالات بالنسبة للثقافات التى لا توجد فيها كلمة ثلج . ويرى « نايدا » أنه لحل مثل هذه الاشكالية يجب البحث أولاً فيما إذا كان الناس قد سمعوا بكلمة ثلج أم لا . وثانياً أن كانوا يستخدمون كلمة فى مقابلها ، وثالثا إن كان هنالك ما يوازيها فى لغة الهدف ويؤدى المعنى المطلوب . ويرى « نايدا » أنه طالما

أن ايجاد ما يوازى مثل هذه الكلمة لا يؤثر فى حرف الرسالة عن مجراها الطبيعى فلا غضاضة من استعماله .

ويرد « نايدا » على الذين يتقيدون بحرفية الترجمة فى مثل هذه الحالة بأن اللغات تختلف فى وسائل تعبيرها ، ولا يمكن أن تتطابق مطابقة كاملة ، وحتى فى داخل اللغة ذاتها يمكن إستخدام مفردات وتعبيرات متباينة للتعبير عن نفس الغرض . ولكن إذا كانت الكلمة التى لا تجد لها مقابلاً فى اللغة الأخرى ذات قيمة أسلوبية لا يمكن التضحية بها ، فإن على المترجم أن يشير فى هامش الترجمة إلى الإشكالية التى تثيرها تلك الكلمة أو التعبير (ص ٥) .

ثالثا : الإعتراف بأن المحافظة على مضمون الرسالة يستوجب تغيير الشكل ويعتمد تغيير الشكل بحسب منظور « نايدا » على البعدين اللغوى والثقافى بين لغتى المصدر والهدف . ويلاحظ دائماً أن تغيير الشكل يكون فى حده الأدنى حين تكون اللغتان متقاربتين مثل الانجليزية والألمانية .

ويرى « نايدا » أنه لكى تتحقق الأهداف السابقة فلابد أن تكون هنالك نقلة نوعية إلى لغة المصدر خاصة حين تكون لغة المصدر هى اللغة العبرية أو الأغريقية التى يحمل عنها الناس مفهومات عالية ، والمهم فى نظره أن يتمكن المترجم من إعادة إنتاج النص على النحو الذى يفهم به النص في لغة المصدر . وإذا كان هدف المترجم ألا يكون دائماً خلف الكاتب فى لغة المصدر فيجب أيضا ألا يكون أمامه فى لغة الهدف (ص ٨) .

طبيعة الترجمة :

لقد أوضح « نايدا » من قبل أن طبيعة الترجمة تتركز حول إعادة إنتاج Reproduction الرسالة بأقرب ما يعادلها من الناحية الطبيعية في لغة الهدف .

وذلك فيما يختص بالمعنى وما يختص بالأسلوب . ويتطلب ذلك من وجهة نظر « نايدا » تقويم عدد من العناصر بصورة دقيقة على النحو التالي (ص ١٢) .

أولا : يجب أن تتجه الترجمة أساساً نحو إعادة إنتاج الرسالة في لغة الهدف (ص ١٢) ذلك أن الاتجاه نحو أى هدف آخر لا يؤدى إلى النتيجة المطلوبة . ويتطلب الإتجاه نحو الهدف إحكام النظر في كثير من الأمور التركيبية والمعجمية .

ثانيا : يحاول المترجم ايجاد معادل للنص المترجم لا أن يتعب خاطره في إيجاد نص مطابق للنص الأصلى .

ثالثاً : يرى « نايدا » أن الترجمة الجيدة لا تبدو كأنها ترجمة وإنما يجب أن يبدو النص فى لغة الهدف معادلاً طبيعياً Natural Equivalence ولا يعنى ذلك بالطبع أن يذهب الإنسان إلى أن يحول ترجمة الكتاب المقدس إلى شيء غريب عن طبيعة الكتاب المقدس .

رابعاً : يجب أن يراعى المترجم أن تكون ترجمته هى أقرب أنواع التعادل مع النص الأصلى Closest Equivalence

خامسا : يجب أن يعطى المعنى الأسبقية على سائر العناصر الأخرى فى النص. ويرى « نايدا » أن محتوى الكتاب المقدس هو أهم شيء تدور عليه ترجمة الكتاب المقدس . ويعنى ذلك أن بعض الانزياح عن الشكل لا يعتبر مجرد إتجاه « راديكالى » وإنما هو أمر ضرورى .

سادساً : على الرغم من أن الأسلوب يأخذ دوراً ثانوياً بالنسبة للمحتوى فى نظر « نايدا » فهو يرى عدم التقليل من أهمية عناصر الأسلوب ، ذلك أنه لا

يجوز أن يترجم الشعر كما يترجم النثر . ومهما يكن من أمر فيجب أن يكون الأسلوب معادلاً من الناحية الوظيفية لأسلوب النص في لغة المصدر . وينتهى « نايدا » إلى أنه خلال عملية الترجمة يجد المترجم نفسه مضطراً إلى الانحياز إلى المحتوى فى مقابل الشكل والمعنى والأسلوب وشخصية النص والمعادل القريب فى مقابل أى معادل آخر والطبيعية فى مقابل التغيير الشكلى . وذلك ما يتطلب من المترجم بحسب مفهوم « نايدا » أن يضع جدولاً للأسبقيات لا سيما من منظور الشكل من جهة ، وفهم النص من جهة أخرى .

كاثرين ج ل بارنويل Katharine Barnwell .

تبدأ « كاثرين بارنويل » كتابها « مقدمة للسيمانتيك والترجمة » بقولها إن الترجمة تدور حول نقل رسالة من لغة المصدر إلى لغة الهدف .

تقول « كاثرين بارنويل » (ص ١٣) .

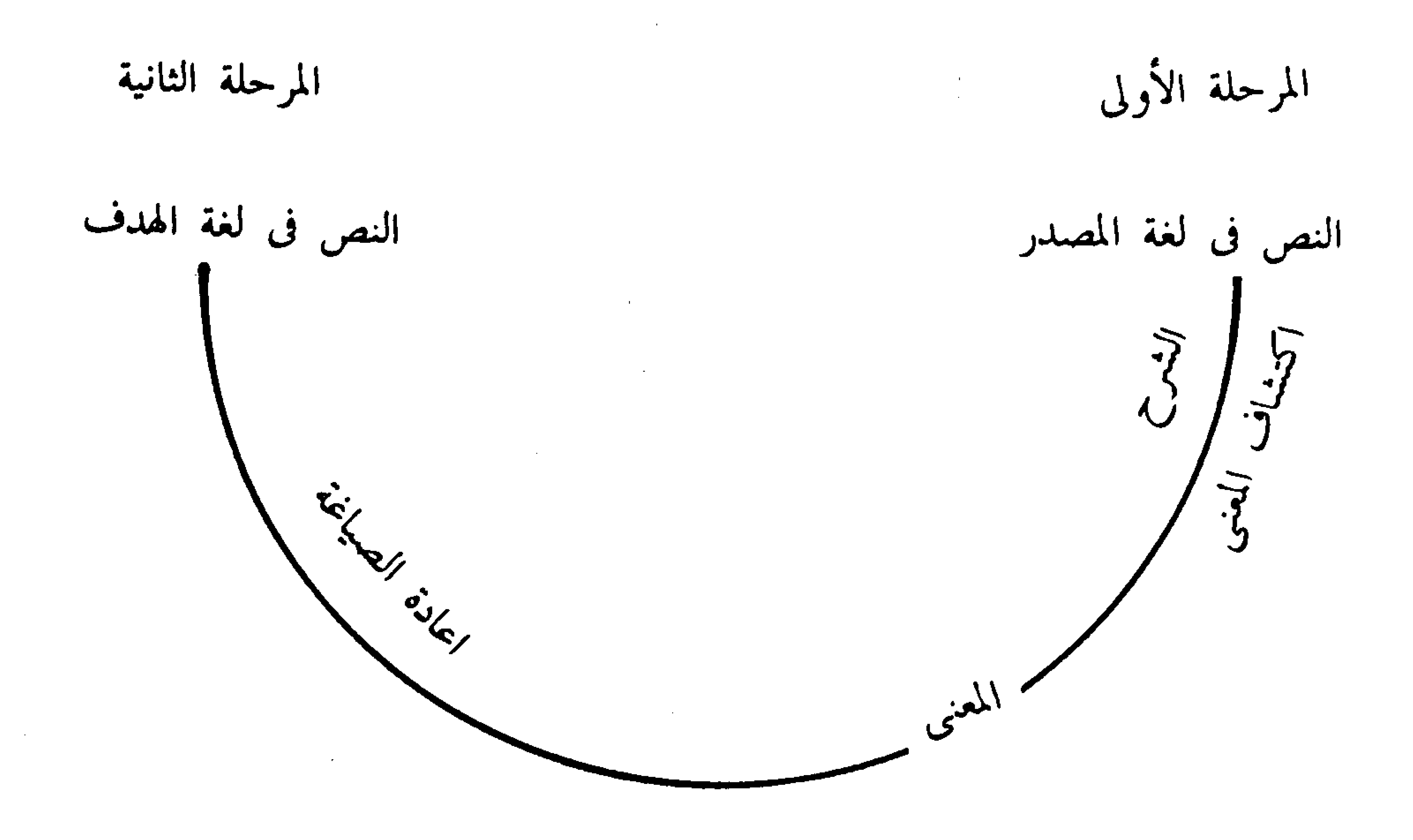
لقد عرفنا فيما قبل أن كل لغة من اللغات تتميز بنظامها الخاص ، ويحتم ذلك أن يحدث بعض التغيير فى عملية الترجمة . وليس ذلك مهماً طالما كان فى الإمكان الاحتفاظ بالمعنى الأصلى للرسالة .

ويبدو هذا الموقف متعارضاً مع موقف « نيومارك » بتركيزه على لغة المصدر أكثر من لغة الهدف .

وتذهب « كاثرين بارنويل » إلى أن عملية الترجمة تستدعى مرحلتين واضحتين ، المرحلة الأولى يقوم فيها المترجم بتحليل النص فى لغة المصدر لمعرفة حدود المعنى.ويلاحظ أن كاثرين بارنويل تخلط بين مفهوم التحليل ومفهوم الشرح فى هذه المرحلة Exegesis . وأما المرحلة الثانية فهى التى

يحاول فيها المترجم إعادة صياغة المعنى بصورة مطابقة « على قدر الإمكان » فى لغة الهدف . وهى مرحلة لا يمكن أن يتحقق هدف نقل المعنى فيها إذا لجأ المترجم إلى تفسير مشابه لما يحدث فى ترجمات الكتاب المقدس كما تريد كاترين بارنويل .

ومهما يكن من أمر فهى تتخذ هذا النموذج لتوضيح عملية الترجمة .



ويبدو من غير الواضح فى نموذجها تحديد الكيفية التى يكتشف بها المعنى ، ألا أنه من الواضح أنها تميل إلى تحقيق المعنى فى الترجمة أكثر من اهتمامها بالمحافظة على الشكل .

تقول : (ص ١٤) .

« يحاول المترجمون فى بعض الأحيان نقل الرسالة دون تغيير فى شكلها ، وتكون النتيجة إما ترجمة مستعجلة واما صعبة الفهم أو غير صائبة المعنى » .

ولا يعنى ما ذهبنا إليه أن كاترين بارنويل » تهمل شأن الشكل ، ذلك أنها تهتم بالشكل من حيث هو وعاء المعنى . وترى أن المحافظة عليه هى بقدر ما يحقق ذلك المعنى ويصيبه بطريقة دقيقة » .

لقد ركزت « كاترين بارنويل » على مبدأ التفسير Exegesis كخطوة أساسية في عملية الترجمة . ولكن إذا كان التفسير مهما بالنسبة لترجمات الكتاب المقدس فإلى أى مدى يكون التفسير مهماً فى الترجمات العادية ؟ لا يبدو هذا الأمر واضحاً بالنسبة إليها على الرغم من احساسنا أنها تميل إلى الطريقة التى ترجم بها الكتاب المقدس مما يناقض إتجاهها الداعى إلى المحافظة على المعنى ، ويجعلها تقترب من « نايدا » ومهما يكن من أمر فقد حددت « كاترين بارنويل » ثلاثة أسس للترجمة الناجحة وهى فى نظرها :

أولا : دقة الترجمة وصحتها Accuracy

ثانيا : وضوح الترجمة Clarity .

ثالثا : طبيعة الترجمة Naturalness .

ويبدو واضحاً أن كثيراً من المشكلات التى تثار فى نظرية الترجمة

نشأت فى الأساس من عدم وضوح المصطلحات المستخدمة . وعلى الرغم من أن « كاترين بارنويل » لم تتحدث عن القيمة الاتصالية أو البراجماسية للترجمة ، فقد كان واضحاً أنها فى حقيقة الأمر تركز على هذه الأمور بصورة غير مباشرة في معيارها الذى وضعته لدقة الترجمة وصحتها . ويتضح ذلك فى مثل قولها (ص ١٥) .

« هنالك عدة طرق للتعبير عن الفكرة ، إختر الطريقة التى توصلها بطريقة واضحة وهى الطريقة التي يفهمها الناس العاديون » ويوحى هذا النص بأنها تميل إلى النموذج الإتصالى في الترجمة ، ولكن ذلك لا يحقق فكرتها الأساسية فى الإخلاص للمعنى لأن الانحياز للقيم الاتصالية قد يتعارض في كثير من الأحيان مع مفهوم الدقة المعنوية . وتوضح « كاترين بارنويل » ما تعنيه بطبيعية المعنى على النحو التالى :

« يبدو من المهم أن يستخدم المترجم الصيغة الطبيعية فى لغة الهدف وذلك من أجل أن تصبح الترجمة مؤثرة ومقبولة، ذلك أنه من الضرورى ألا تكون الترجمة غريبة على ما تعوده جمهور الهدف فى لغته » .

ويظهر النص السابق إتجاها « براجماسياً » عند « كاترين بارنويل » قد يتعارض مع مفهوم الدقة والوضوح اللذين أشارت إليهما فيما قبل . وعلى الرغم من وجود كثير من التعارض فى مقولاتها ، فيبدو من الواضح أن هدفها النهائى هو أن يحاول المترجم إيجاد نوع من التوازن بين العناصر التى جعلتها مقياساً للترجمة الصحيحة وهى عناصر الدقة والوضوح والطبيعة .

تقول « كاترين بارنويل » (ص ١٥) .

« على الرغم من أن المترجم يحاول بقدر الإمكان أن يوصل معنى

الرسالة في لغة المصدر بصورة فعالة ، فيبدو أنه لا مفر من أن يؤثر شكل الرسالة الأصلية على ترجمته . وتقترح لأجل التغلب على هذه المشكلة أن يكون التعبير فى لغة الهدف بواسطة شخص تكون لغة الهدف هى لغته الأصلية . ونظراً لأن الترجمة لا تقتصر على التعبير فى لغة الهدف فقط ، وإنما تحتاج إلى تفكيك الرسالة الأصلية ، فنجد « كاترين بارنويل » تؤمن بما يسمى بالترجمة الجماعية Teamtranslation حين لا تكون لغة الأم هى لغة المترجم إذ يسهم المشارك في تفكيك الرسالة الأصلية التى ينقلها الآخر إلى لغة الهدف . وعلى الرغم من صعوبة هذا المشروع في النواحى العملية ، فلا شك أنه حقق فى بعض الحالات نجاحاً كما هو الحال فى ترجمات المنفلوطى من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية .

وترى كاترين بارنويل » أن مشروعها لن يعصم المترجم من التأثر باللغات الأجنبية إذا كان يتقن إحداها . ويبدو واضحاً أن الاحتراز السابق لا أهمية له حين يتعامل المترجم مع لغتين تنتميان إلى عائلتين منفصلتين مثل اللغة الانجليزية واللغة العربية . وتعالج كاترين بارنويل » هذه المسألة بطريقة أخرى حيث تقول : (ص ١٦) .

« يجب دائماً عرض مسوذة الترجمة على متحدث بلغة الهدف لا يكون قد تأثر بلغة المصدر ، وذلك من أجل تقديم الاقتراحات التى تؤدى إلى التحسين ، ولا شك أن مرحلة الترجمة وتدقيقها هى من الأمور المهمة لمعرفة ما إذا كان المعنى الذى تنقله الترجمة هو معنى رسالة المصدر الأصلية أم لا ، وما إذا كان النص المترجم صحيحاً وطبيعياً أم لا .

ولا شك أن النص السابق يحمل إشكاليات كثيرة أولاها أنه إذا كانت الترجمات الأدبية تحتاج إلى مثل هذا التدقيق فإن الترجمات العادية لا تحتاجه ، كما أنه ليست هنالك وسيلة يمكن أن نؤكد بها على أن فهم المتحدث الأصيل للغة الهدف هو الفهم الصحيح للرسالة في لغة المصدر ، ومعنى ذلك أننا سنظل فى دوامه من التحققات . ومع ذلك فلا ننكر أن كثيراً من آراء «كاترين بارنويل» ذات أهمية خاصة بالنسبة للترجمة ، ولكن الآراء التى يمكن أن تدخل فى مجال نظرية الترجمة هى تلك التى تتجاوز الجوانب الخاصة إلى الجوانب العامة للترجمة .

« جوليان هاوس » ومفهوم الترجمة Julian House

تتجه « جوليان هاوس » فى دراستها نحو إيجاد معيار « نموذج » تقرر به المستوى النوعى للترجمة . وتبدو منذ البداية وهى تسير على الطريق الصحيح .

تقول « جوليان هاوس » (ص ٢٥)

« يرتكز جوهر الترجمة على ضرورة المحافظة على علاقة المعنى بين لغتين مختلفتين حيث توجد ثلاث طبقات لهذا المعنى ، الطبقة الأولى هى الطبقة السيمانتيكية ، والطبقة الثانية هى الطبقة « البراجماسبة » والطبقة الثالثة هى « الطبقة النصانية » .

وترى أن الطبقة السيمانتيكية تحدد علاقة الوحدة اللغوية مع إطارها المرجعى فى عالم ممكن ، وهو أى شيء يمكن أن ينشئه العقل الإنسانى سواء كان ذلك الشيء مادياً أم فكرياً أم مجرداً . ولا ترى « جوليان » صعوبة فى ترجمة هذا الجانب لسهولة التحقق من وجوده وعدمه .

تقول « جوليان » هاوس (ص ٢٦) .

« يبدو واضحاً أن سهولة اكتشاف المعانى السيمانتيكية هو أحد الأسباب التى ساقت إلى الاهتمام بها فى الدراسات الأولى فى نظرية الترجمة .

وترى « جوليان هاوس » أنه لإزالة الغموض القائم بين المعنى السيمانتيكى والمعنى البراجماسي فإنه يجب المقارنة بين هذين النوعين . ويقودها ذلك إلى الأخذ بمقارنة « ستالنكر » التى تقول ما يلى : (ص ٢٦) .

« يتجه السيمانتيك إلى دراسة العلاقة بين العلامة ومدلولها حيث تفسر عناصر الجمل على أنها أطروحات معنوية ، بينما تركز الدراسات البراجماسية على الأغراض التى من أجلها تستخدم الجمل » .

ويتضح وفق هذا المنظور أن المعنى « السيمانتيكى » هو جزء مكن للمعنى البراجماسى ، ولا يكون العكس صحيحاً بأى حال من الأحوال من الناحية النظرية . وذلك لأن المعنى البراجماسى هو المعنى الإبلاغي الفعال وليس مجرد فرض لغوى .

وتذهب « جوليان هاوس » إلى أنه على الرغم من أن الوجهة الإبلاغية تستنتج من الظواهر النحوية مثل ترتيب الكلمات ونوع الأفعال والنبر ، فمما لاشك فيه أن السياق هو العنصر الفعال في تحديد فعالية الخطاب . وذلك ما يحتم من وجهة نظرها أن تتجه أنظارنا فى الترجمة إلى الخطاب بأسره ، وليس إلى الجمل المكونة له بكونها وحدات منعزلة .

تقول « جوليان هاوس » (ص ٢٨) .

« يتركز هدف الترجمة على تحقيق التعادل البراجماسى حتى لو كان

ذلك على حساب المعنى السيمانتيكى . ويقودنا ذلك إلى القول بأن الترجمة هى إعادة صياغة براجماسية لنص المصدر في لغة الهدف » .

ويقودها ذلك إلى القول بأن الترجمة في مجملها هى عملية نصانية ، ولكن ما النص فى وجهة نظرها ؟ .

« هو الإمتداد اللغوى الذى تترابط في داخله العناصر المفردة لتكوين كل شامل » (ص ٢٩) .

وترى « جوليان هاوس » أن النصانية تتحقق من خلال مجموعة من العناصر هى التى أشار إليها « هاليدى » و « دوبوجراند » فيما قبل مثل الحذف والإبدال وتقدير الضمائر ونحو ذلك . وتؤكد « جوليان هاوس » على أن العناصر النصانية قد أهملت فى نظريات الترجمة السابقة وآن لها أن تأخذ مكاناً مركزياً فى نظرية الترجمة الحديثة . وهكذا يأتى تعريفها للترجمة على النحو التالي (ص ٣٠) .

« الترجمة هى إبدال نص في لغة المصدر بنص معادل من النواحى السيمانتيكية والبراجماسية فى لغة الهدف ، وتفرق « جوليان » بين ترجمة النص المكتوب وتسميها Translation والنص المنطوق وتسميها Interpretation . وعلى الرغم من أن مفهوم التعادل يأخذ منحى وظيفياً فهى ترى أنه يثير كثيراً من الإشكالات أهمها أغراض المؤلف ونيته الأصلية من النص ، ولكنها تأخذ بالمنحى الوظيفى لصعوبة حل إشكالية نية المؤلف من وجهة نظرها . وعلى الرغم من أنها تتوسع فى موضوع وظائف اللغة من أجل إقامة معيارها الذى تحدد به فعالية الترجمة ، فنكتفى بهذا التصور الشامل لرؤيتها لأنه هو الجانب الذى يدخل بصورة مباشرة فى موضوعنا .

باسل حاتم ونظرية أنواع النصوص :

يلاحظ أنه بينما كان الانحياز واضحاً فى معظم الاتجاهات النظرية السابقة إلى الترجمة من حيث هى ناتج Product فإن إهتمام الدكتور حاتم يتركز على الترجمة من حيث هى عملية Process ويرجع ذلك فى الأساس إلى كون الدكتور حاتم يشرف على برامج الترجمة ويدربها فى جامعة هاريوت وات البريطانية . وعلى الرغم من أن اتجاهات الدكتور حاتم المعتمدة على نظرية أنواع النصوص وعلم النص بصورة عامة تحل كثيراً من الإشكالات الجزئية في عملية الترجمة ، فإنها تترك كثيراً من القضايا الاساسية فى هذا المجال بغير جواب . وذلك لكون الدكتور حاتم يركز بشكل أساسي على النص فى لغة المصدر دون أن يحدد الكيفية التى يمكن أن يتجاوز بها المترجم المشكلات التى تؤدى إلى التعادل بين النص المترجم في لغة الهدف والنص الأصلى فى لغة المصدر . ومع ذلك فإن القيمة الأساسية لإتجاه الدكتور حاتم تكمن فى أنه يريد من المترجم أن ينظر إلى النص من حيث هو بنية متكاملة Structure تترابط بواسطة النظم Texture وهذا هدف أساسي فى عملية الترجمة ، ويعتبر خطوة أولى وأساسية قبل أن يحدد المترجم الكيفية التى يحقق بها الأغراض المعنوية والأسلوبية في لغة الهدف .لكن هذا الهدف وحده لا يحل المشكلات المتعلقة بالمعانى التى يحملها النص والخصائص الأسلوبية فى داخله وكيفية التصرف فيها وذلك ما يجعل نظرية أنواع النصوص وحدها غير قادرة على حل هذه المشكلات وتحتاج إلى ما يكملها ، وهذا هو الهدف الذى تسعى إليه نظرية الانزياحات التى سأشرحها فى مرحلة لاحقة . ومهما يكن من أمر فينبغي عند هذه المرحلة أن ننظر إلى المنطلقات التى تشكل الأساس فى الإتجاه « البيداجوجى » عند الدكتور حاتم .

يرى الدكتور حاتم أن الهدف الأساسي من دراسته هو إكتشاف إمكانية إستخدام علم النص فى مجال تعليم الترجمة.وعلم النص عنده هو الذى يجمل دراسة النص فى داخل سياقه العام والعلوم المتصلة به مثل البلاغة والأسلوبية ونحوها (ص ٦) . ويحدد الدكتور حاتم مجاله فى هذا الاتجاه وهو تدريب طلاب الترجمة فى مرحلة الدراسات العليا من منظور نظرية أنواع النصوص التى تقسم اللغة من وجهة نظره بحسب فعاليتها الاتصالية (ص ٦) التى تفضى إلى عدد من الأنواع الرئيسة تكمن فى داخلها مجموعة من الفصائل النصانية .

ويبدأ الدكتور حاتم دراسته بالقول إن هنالك كثيراً من الأخطاء فى مجال الترجمة لا تنجم من عدم معرفة المعجم أو النحو ، وإنما تنجم من جانب طال إهماله فى مجال تدريس اللغات والترجمة وهو الجانب الذى يتعلق بمعرفة السياق Context والبنية Structure والنظم Texture .

وعلى الرغم من أن نظرية «الريجستر» قد مارست نفوذها من وجهة نظره على مدى عقدين في مجال الألسنية الإجتماعية وهى النظرية التى تقوم على مفهومات مثل المجال Field والطريقة Mode والكيفية Tenor فإن هذه النظرية لم تستطع أن توضح مدى الأنشطة النصانية Textual Activities التى تكيف عملية الاتصال ذاتها والتى تؤدى إلى ظهور برينجنز ، وذلك ما يجعل علم النص هو البديل الشرعى لتلك النظرية التى تتسم بكثير من أنواع القصور .

ويذهب الدكتور حاتم (ص ٧) إلى أن علم النص هو الذى يساعدنا على تحليل النصوص لمعرفة التفاوت بينها وفى داخلها . ويقوده ذلك إلى القول بأن تحديد السياق يتطلب معرفة الكيفية التى يتم بها إنتاج النص من

حيث هو علاقة تفاعلية وتعاونية فى مجال الخطاب تنتج النص الذى هو التحقيق الفعلى أو الناتج لهذه العملية التفاعلية . ويرى أن النص من حيث هو عمل فى الواقع يحقق الجانب البراجماسى فى عملية الخطاب ، ومن حيث هو عمل سيميائى يحقق الجانب الإتصالي الذى يحدد بدوره المحور الذى يدور عليه نوع النص : ويذهب الدكتور حاتم إلى أن الإمكانات المتاحة لأنواع النصوص تكمن فى ثلاثة أنواع رئيسية هى :

١ ــ النصوص السردية Expository Texts

٢ ــ النصوص الجدلية Argumentative Texts

٣ ــ النصوص الأمرية Instructive Texts

ويذهب الدكتور حاتم فى ضوء هذا الواقع إلى أن ما يحتاجه طالب الترجمة فى ضوء هذا الواقع هو برنامج يشتمل على الأمور التالية :

أولا : مقدمة فى تحليل النصوص ، وقد تشتمل على نظرية الترجمة والثقافة الإجتماعية والليكسوكوغرافيا ونحوها من العلوم .

ثانيا : مقدمة فى نظرية أنواع النصوص تشرح الخطوات التى أشير إليها سابقاً .

ثالثا : دراسة أنواع النصوص من خلال نماذج يتعرف الطلاب من خلالها على المتغيرات المختلفة فى داخل النصوص .

ويبدو مما سبق أن ما يتجه إليه الدكتور حاتم هو أن يمد الطلاب بمعرفة عامة للأسس أو « الميكانزم » الذى يقوم عليه النص ، وهو يعتبر ذلك أساساً مهماً لنجاح برنامج الترجمة . وكما أسلفنا فإن هذا الإتجاه ينحاز بصورة أساسية إلى النص فى لغة المصدر ولا يوضح على أى أساس يمكن

للطالب أن يحقق مهارة عالية فى تحويل النص من لغة المصدر إلى نص معادل فى لغة الهدف أو كيف يمكن للطالب أن يتغلب على المشكلات التى تتعلق بالشكل والمعنى والأسلوب . كما لا يحدد هذا الاتجاه موقف المترجم بالنسبة للمسائل التى تتعلق بقيود الزمان والمكان . وتلك كلها أمور لا تستطيع نظرية أنواع النصوص أن تجيب عليها إجابة كاملة .

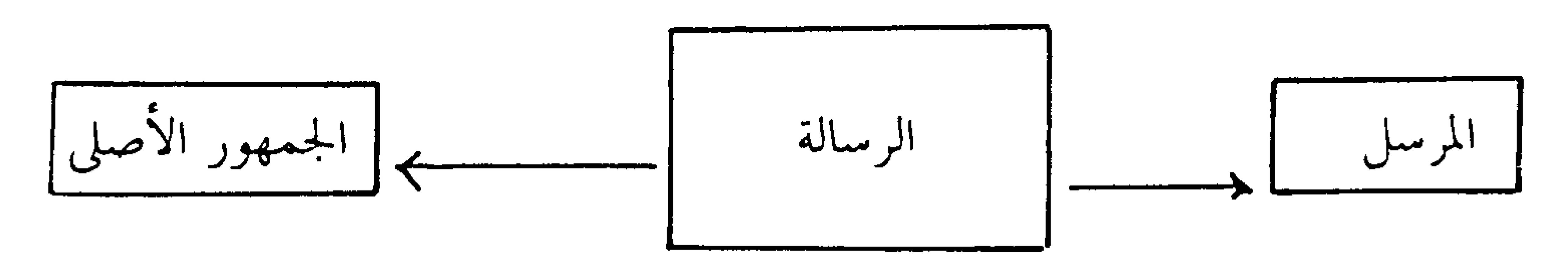
نظرية الانزياحات والترجمة : Theory of shifts :

إذا تأملنا النظريات والإتجاهات السابقة وجدنا أنها جميعا قد أنتهت إلى أن مفهوم الترجمة هو مفهوم علائقى يحدد العلاقة بين نصين أحدهما فى لغة المصدر والآخر فى لغة الهدف،وعلى الرغم من أن سائر النظريات قد أنتهت إلى أن العلاقة بين النصين يحكمها مفهوم التعادل Equivalence فقد اختلفت الاتجاهات فيما تعنيه بمفهوم التعادل ، إذ بينما ذهب « **كاتفورد** » إلى أن التعادل يتركز حول إستبدال العلاقات النحوية فى لغة المصدر بعلاقات نحوية فى لغة الهدف ، ذهب « نيومارك » إلى أن التعادل يتحقق من خلال الترجمة الاتصالية Communicative كما ذهب « نايدا » إلى أن الترجمة هى تحقيق المعادل الموضوعى الذى يترك فى لغة الهدف أثراً يشبه الأثر الذى تركه النص الأصلى في لغة المصدر . ويلاحظ هنا أن« كاتفورد » يضحى بالمعنى في سبيل تحقيق العلاقات النحوية ، بينما يضحى كل من « نيومارك » و« نايدا» باللغة في سبيل تحقيق الغايات الاتصالية والتأثير . ولا تقدم نظرية أنواع النصوص حلاً لهذه المشكلة ، ذلك أنه بينما تركز نظرية أنواع النصوص على النص في لغة المصدر فهى لا توضح الكيفية التى يتحقق بها التعادل في لغة الهدف ، لذلك فقد كانت نظرية « الانزياحات » التى طورتها في جامعة « سالفورد » حلاً لكل المشكلات التى تعرضنا لها

سابقاً ، ذلك أن نظرية « الانزياحات » لا تعالج موضوع الترجمة من الناحية النظرية فحسب ، وإنما تحاول أن ترسم الطريق الذى يتبعه المترجم لكى يحقق الترجمة ، وذلك ما يجعلها ذات أهمية خاصة في المجالات البيداجوجية .

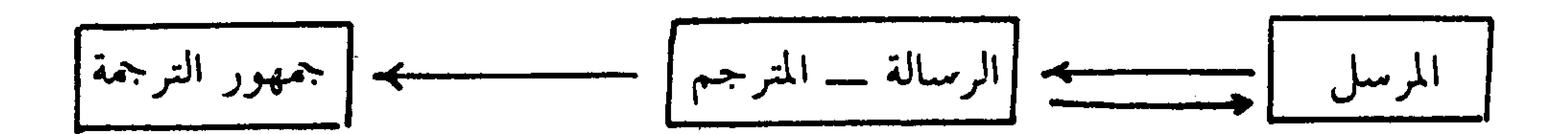
ولقد سبق أن أوضحت نظرية الانزياحات عندما تحدثت فى علم النص . وسوف أحاول الآن أن أستخدم ما توصلت إليه سابقاً في تطوير نموذج هذه النظرية في مجال الترجمة .

تعتبر نظرية « الانزياحات أن الترجمة هى نقل شبكة المعانى الموجودة فى نص لغة المصدر إلى نص لغة الهدف وهى الشبكة المكونة من المعانى الالزامية أو المنطقية ، والمعانى الممتدة والمعانى الجمالية والتنظيمية . ويتطلب هذا النقل فهم دور المترجم والكيفية التى يختلف بها عن المرسل الحقيقى للنص ، ويمكن أن يوضح الرسم التالى نوع العلاقة التى تقوم عادة بين مرسل النص الأصلى وجمهوره .



فإذا نظرنا إلى نظام العلاقات السابق وجدنا أن المرسل هوَ الذى يتحكم بصورة نهائية في إنتاج الرسالة التى يوجدها لأغراض براجماسية . وهو يرسلها بصورة مباشرة إلى جمهور الهدف الأصلى . ويختلف هذا

الوضع عن وضع المترجم الذى يمكن أن نبينه على النحو التالى .



فإذا تأملنا الرسم السابق وجدنا أن المترجم يتعامل مع رسالة جاهزة ولا يحاول أن ينشئها ، كذلك فهو لا ينقل الرسالة إلى جمهورها الأصلى وإنما ينقلها إلى جمهور أو هدف جديد . وهو بالتالى يعود بالمعنى إلى المرسل الأصلى حيث تصادفه هنا سائر المشكلات الإستنتاجية والتى يمكن حلها من خلال التمرس بالنظام اللغوى ، ثم يتجه لإعادة صياغة الرسالة بحسب فهمه لها كى يرسلها إلى الجمهور الجديد ، ويبدو من ذلك أن دور المترجم هو إعادة صياغة رسالة ليس هو صاحبها وتوجيهها إلى جمهور ليس هو المقصود أصلاً فى توجيه الرسالة . ولقد لحظنا من خلال النظريات السابقة أن وجهات النظر تراوحت بين المراعاة الحرفية للنص والتصرف فيه لتحقيق الأهداف الإتصالية والتأثيرية في لغة الهدف . وتختلف نظرية « الانزياحات » عن تلك الاتجاهات جميعها من حيث هى ترى أن العلاقة بين النص في لغة المصدر والنص في لغة الهدف يمكن أن تأخذ أشكالاً عدة ، منها الشرح والتفسير ، والإقتباس والإختصار والتطويل ونحو ذلك ، ولكن علاقة واحدة هى التى يحافظ فيها النص في لغة الهدف على مقومات النص في لغة المصدر ، ذلك أنه ليس من حق المترجم أن يغير فى نص لغة المصدر إلا لأغراض بلاغية أو عملية ، ولو شاء أن يغير كما يريد فيجب ألا يسمى ما يقوم به ترجمة بل يطلق عليه الاسم المناسب من الأنواع التى أشرنا إليها سابقاً . ويجب من

أجل تحقيق الترجمة الصحيحة أن يبدأ المترجم بتحليل نصه من أجل أن يوجد .

أولا : المعانى المنطقية أو الالزامية .

ثانيا : المعاني الممتدة أو البيانية .

ثالثا : المعانى الجمالية والتنظيمية .

وسوف نلاحظ أن المترجم لا يستطيع أولا يحق له أن يتضرف فى المعانى الالزامية بالحذف أو التغيير ، لأن ذلك يخرج النص عن معناه الأصلى ، ولكنه يستطيع أن يتصرف في المعانى البيانية والجمالية بما يتلاءم مع طبيعة لغة الهدف . وعلى الرغم من أن ذلك قد يحدث تغييرات طفيفة فى شكل الرسالة فهو لا يؤثر على معناها المنطقى . وإذا كنا قد رخصنا للمترجم أن يتصرف فى المعانى البيانية والجمالية ، فيجب أن نؤكد على أن ذلك لا يتم بغير هدف تفرضه لغة الهدف . ويتبين من ذلك أن عملية الترجمة هى عملية « انزياحات » مستمرة بين المعانى المنطقية ، والمعانى الممتدة والمعانى الجمالية يحافظ فيها المترجم بصورة مستمرة على المعانى المنطقية بينما يتصرف في غيرها . ويبدو واضحاً أن هذ النظرية تضع الأساس السليم للترجمة الصحيحة كما تشكل أساساً مهماً للتدريبات البيداجوجية ، وهى لا تفترض أن وجودها سيقضى على الإتجاهات السابقة وإنما تفترض أن أية علاقة بين النص في لغة المصدر والنص في لغة الهدف لا تستند إلى أسس هذه النظرية يجب أن تسمى باسمها الصحيح . وتعتبر القراءة الأولى للنص فى نظرية الانزياحات هى محاولة لتخصيب النحو واحيائه من أجل اكتشاف العناصر البلاغية فى تركيب النص لتحقيق الأغراض التى سيق ذكرها .

خاتمـــة :

لقد أشرنا فى أول هذا الكتاب إلى ثلاثة أنواع من الترجمة هي :

أولا : الترجمة الليكسوكوغرافية التى تحفـل بتـرجمة المفـردات والتعبيرات البلاغية والجمالية .

ثانيا : الترجمة الاصطلاحية .

ثالثا : الترجمة النصانية .

ونظـــرا لأن النـــوعين الأولين يتمان خارج إطار اتصالى Context وهما يحتاجـان لنـوع خاص من التـــدريب ، فقـــد انصرف تركيزنـــا إلى التـــرجمة النصانيـة ، وقـد ساقنـا ذلك إلى تخصيص الـــقسم الأول من هذا الكتـــاب إلى دراسة علم النص الذى تناولناه من المنظورات التالية .

١ ـــ خصصنا الفصل الأول لدراسة التطـورات التـى أفضت إلى ظهـور علم النص الحديث من منظورات « دوبوجراند » وهارتمان » و « رايزر » .

٢ ـــ خصصنـا الـفصل الثـانى لدراسة علـم الـنص من منظـور هاليـدى النظمى .

٣ ـــ خصصنا الفصل الثالث لدراسة مفهوم النصانية الذى أوضحنا فيـه أن النصانيــــة لا تستهدف ايجاد نحو عرفى للـــــنص ، وإنما تستهدف وضع الأصول والضوابط التى تمكن من إبداع النصوص وتحقيقها .

٤ ـــ خصصنا الفصل الرابع لدراسة نظريـة أنـواع أنـواع الـنصوص من منظـور الدكتـور باسل حاتم وأوضحـنـا أن هذه النظريـة تعلى من شأن الجوانب الميكانيكية على حساب الجوانب الأسلوبية والإبداعية .

٥ ـــ خصصنا الفصل الخامس لنظرية « الانزياحات » التي قدمت نموذجاً مرناً لدراسة النصوص قائماً على الأسس البلاغية التي تقوم عليها نظرية المعاني والبيان والبديع .

ولقد قسمنا القسم الثاني من الكتاب إلى فصلين ، تعرضنا في الفصل الأول إلى مجموعة النماذج التي أشار إليها « تشاو » وهي النماذج النحوية ، والثقافية والنصانية ، وتعرضنا في الفصل الثاني إلى مجموعة من نظريات الترجمة إنتهينا منها إلى نظرية « الانزياحات » التي عالجت كثيراً من جوانب النقص التي تبيناها في النظريات السابقة .

وعلى الرغم من إعترافي بأن هذا الكتاب لم يفرغ من كثير من الجوانب الجوهرية التي تتعلق بنظرية الترجمة ، فلا شك عندي أنه أول محاولة في اللغة العربية تحاول أن تعالج نظرية الترجمة من منظور علمي . وأعترف مع ذلك أن اختياري للمنظرِّين الذين تعرضت لهم إعتمد في الأساس على رغبتي في عرض النظريات الأساسية التي يقوم عليها الفكر الحديث في مجال الترجمة أكثر من محاولة إستقصاء الاسهامات في هذا المجال من منظور تاريخي أو تسلسلي . ومهما يكن من أمر فأرجو أن يكون هذا الكتاب باكورة لأعمال كثيرة يقوم بها الباحثون في هذا الموضوع الذي اهملناه طويلاً في مجال الدراسات العربية .

مانشستر ١٩٨٨/٩/٤م

تم بحمد الله

LIST OF REFERENCES

1 — de Beaugrande, Robert: An Introduction to Text-Linguistics.
— Text, Discourse, and Process. 1980.
— Factors in a Theory of Poetic Translating. 1978.

2 — Newmark, Peter: Approaches to Translation. 1981.

3 — Nida, Eugene A. & Taber, Charles R.: The Theory and Practice of Translation. 1969.

4 — Rose, Marilyn G.: Translation Spectrum; Essays in Theory and Practice. 1981.

5 — Hartmann, R.R.K.: Contrastive Textology; Comprehensive Discourse Analysis in Applied Linguistics. 1980.

6 — Halliday, M.A.K. & Hassan, R.: Language, Context, and Text; Aspects of Language in a Social - Semiotic Perspective. 1985.

7 — House, Julian; A Model for Translation Quality Assessment. 1977.

8 — Dressler, Wolfgang U. (ed.): Current Trends in Textlinguistics. 1977.

9 — Browler, Reuben A. (ed.): On Translation. 1959.

10 — Brislen, Richard W. (ed.): Translation: Applications and Research. 1976.

11 — Mcguire, Susan B.: Translation Studies. 1980.

12 — Catford, J.C.: A Linguistic Theory of Translation. 1965

13 — Hatim, Basil: Discourse Texture in Translation: Towards a Text-Typological Re-Definition of Theme & Rheme.

— A Text-Linguistic Model For The Analysis Of Discourse Errors: Contributions From Arabic Linguistics.

— Discourse Analysis in Applied Linguistics: Towards a Definition of Text Variation.

— ApproachTo Syllabus Design in Translator Training.

— Discourse/Text Linguistics in the Teaching of Interpreters.

15 — Jakobson, R.: On Linguistic Aspects of Translation. 1966.

16 — Knox, R.A.: On English Translation. 1957.

17 — Lyons, J.: Semantics. 1977.

الفهـــــرس

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة	٥
البـاب الأول	
الفصل الأول ــ تطور علم النص	١١
دوبوجراند وعلم النص	١٤
التطور داخل مجال الألسنية	١٤
هارتمان وعلم النص	١٨
هانز رايزر وعلم النص	٢٣
الفصل الثاني :	
علم النص في منظور هاليدي النظمي	٢٧
هاليدى ومفهوما السياق والنص	٢٩
النص في مفهوم هاليدى	٣١
رقية حسن ومفهوم النص	٣٤
الفصل الثالث :	
مفهوم النصانية	٣٧
القضايا الاساسية التى قام عليها علم النص من منظور دوبوجراند	٣٩
علم النص والستية الجملة في منظور دوبوجراند	٤٤
مفهوم النصانية عند دوبوجراند	٤٨
الفصل الرابع :	
نظرية أنواع النصوص	٥٣
الفصل الخامس :	
نظرية الانزياحات	٦١
البـــاب الثـــاني	
نظرية الترجمة	٦٩
الفصل الثاني :	
سوزان ماكجوير ودراسات الترجمة	٧٩
كاتفورد ومفهوم الترجمة	٨٦
نيومارك ومفهوم الترجمة الاتصالية والمعنوية	٨٧
نايدا ونظرية الترجمة	٩١
كاترين بارتويل	٩٦
جوليان هاوس ومفهوم الترجمة	١٠١
حاتم ونظرية أنواع النصوص	١٠٤
نظرية الانزياحات والترجمة	١٠٧
خاتمـــة	١١١